وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل :**1735100445**

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: لسانيات عامة

بعنوان

حجاجية أفعال الكلام في الخطاب القرآني "سورة مريم" أنموذجا

إعداد الطالبة:

ـ زيتوني أمال

ـ أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. محمد سعدون	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
د. حورية زلاقي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. طاهر لحواو	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444/1443هـ.2023/2022م

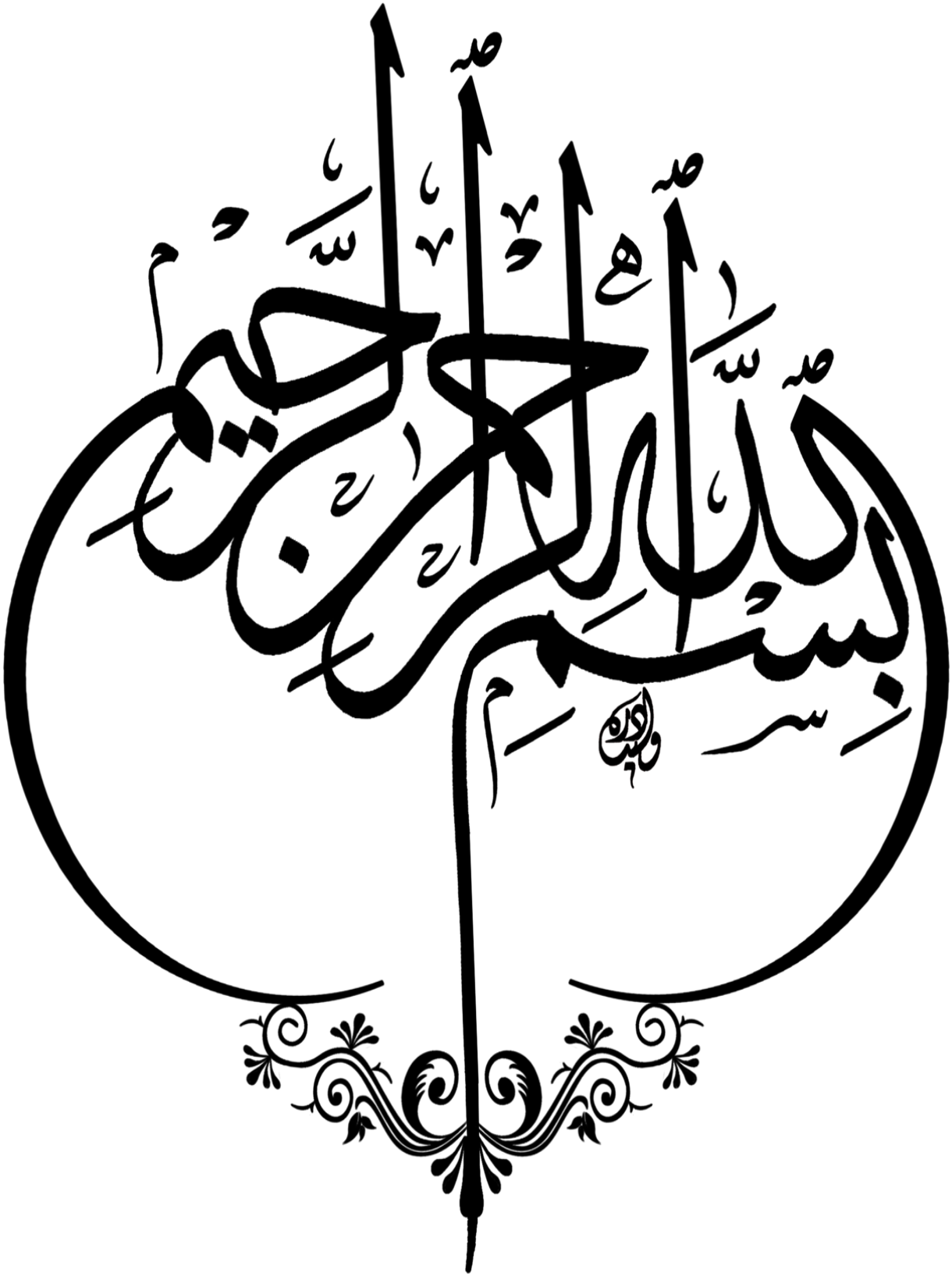
بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): آمال حمدوني ..... الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم 120242246 والصادرة بتاريخ: 2017/06/18 بدائرة المسيلة .....

المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي**.....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

جماعية الأفعال اللامعة في الخطاب القرآني سورة مريم أنموذجا

.....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

نظر وصدق على توقيع
المسيلة في 18 جوان 2023
رئيس قسم ش ب

رئيس المجلس الشعبي البلدي
بتفويض منه عن الإدارة رئيس
توفيق دبلمي

المسيلة في

2023/06/18

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[سورة النمل، الآية:19]

أولا أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذتي المشرفة د. حورية زلاقي لكل ما أسدته لي من توجيهات ونصائح ومشاركتها لي عناء هذا البحث وإلى كل أساتذتي بقسم اللغة والأدب العربي

وإلى عائلتي الصغيرة والكبيرة

وإلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد

آمال زيتوني

.

مقدمة

مقدمة:

النص القرآني هو الحدث الأكبر في الكون، لذا اهتمت الأمة به وعكفت بكل جهدها على دراسته، ومما توصلت إليه دراسة الباحثين أن للبعد الخطابي التداولي أهمية بالغة في تفسير النصوص القرآنية، وربطها بمقاماتها الخارجية، والمتمثلة في أسباب نزولها(السياق)، فالمفسرون كانوا تداوليين بامتياز في تفاسيرهم –على اختلافهم–، والتداولية كنسق معرفي استدلالي يسعى إلى الوقوف على أغراض القائلة المقامية من خلال معرفة الإستراتيجية الخطابية للنص، ومن ثم يكون المعنى المقامي عمدة التفسير وذلك بالكشف عن قيمة القول خارج العالم اللساني بمعنى؛ البحث عن البعد العملي للقول فالتداولية تجعل الفعل اللغوي حدثا في العالم يسعى إلى التعبير عن طريق التواصل، هذا الأخير الذي يكتنف بين جناحيه التأثير والتأثر واللذان لا يمكن التقدم في طريقهما إلا في مركبة الحجاج الذي يقنعك حينا ويغير رأيك حينا آخر ليأخذك دائما إلى أماكن جديدة.

ومن هذا المنطلق جاءت دراستي موسومة بعنوان: " حجاجية الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني" سورة مريم أنموذجا "، وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يطمح إلى دراسة الخطاب القرآني ويسعى إلى الكشف عن معانيه ومقاصده، من منظور تداولي من خلال رصد أفعال الكلام، والكشف عنها ومقاربتها حجاجيا، وتم اختيار سورة مريم أنموذجا باعتبارها تحوي زخما كبيرا من أفعال الكلام ذات البعد الحجاجي، وبتعدد المخاطَبين بين سائر الأطراف كما أن الخطاب القرآني حجاجي بامتياز.

أسعى من خلال دراستي هاته إلى الإجابة عن إشكالية وهي كالآتي:

إلى أي مدى يمكن أن تسهم دراسة الأفعال الكلامية من منطلق حجاجي في فهم مقاصد القرآن الكريم في خطاب "سورة مريم"؟

للإجابة عن هذه الإشكالية تناولت موضوعي بخطة قوامها:

مقدمة، فصلين، خاتمة

حيث كان الفصل الأول(النظري) تحت عنوان: أفعال الكلام تمهيد ومفاهيم والمقسم إلى مبحثين حيث تم دراسة مفهوم التداولية، أفعال الكلام، أقسامها، الاستلزام الحواري. وفي المبحث الثاني تفرد بالشرح الوافر عن الحجاج من مفهوم وامتداد تاريخي ومفارقة بين العرب والغرب وصولا إلى العلاقة بين التواصل والحجاج.

أما الفصل الثاني فتناولت الجانب التطبيقي، حيث كان الجزء الأول مخصصا للتعريف بالسورة وفضلها، وأحكامها، وما احتوته السورة، لنرصد فيما بعد أفعال الكلام ونحدد ملامح الحجاج.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي وصل إليها البحث. وقد اعتمدت على المنهج التداولي لأنه الأنسب لهذه الدراسة، وأسباب اختيار هذا الموضوع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– الرغبة في التعمق في هذا المجال وإثراء مفاهيمي المعرفية ولعل القرآن الكريم هو النص الأنسب سورة مريم أنموذجا.

وكأي بحث تعترضه صعوبات فهذا البحث لم يخل منها نذكر أهمها:

– قداسة وخصوصية القرآن الكريم، وكيفية تطبيق آليات المنهج التداولي.

– صعوبة التبحر في معاني القرآن الكريم وصعوبة التدقيق في لغة التفاسير.

– الخوف من الخروج عن المعنى الأصلي للنص، لكثرة التفاسير وتعددها ولهذا وجب عليّ العودة لمختلفها للتأكد.

– ضيق الوقت.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، وطه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. عبد الهادي ابن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب.

وفي كتب التفسير، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. ومحمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.

وفي الأخير ما عساني إلا أن أشكر الأستاذة المشرفة الدكتورة " زلاقي حورية " التي منحتني فرصة البحث والعمل، بما قدمته لي من نصائح وتوجيهات ليكتمل هذا البحث المتواضع بالصورة التي هو عليها الآن. كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة لتحملهم عناء قراءة الموضوع، وما سيبدون من ملاحظات،

وتصويبات، تساهم في إثراء الموضوع وتقويمه، ونسأل الله العلي القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: 85].

الفصل الأول

تمهيد ومفاهيم

- المبحث الأول: التداولية
- المبحث الثاني: الحجاج

المبحث الأول: التداولية

لقد تعددت الآراء التي تناولت أسس وجذور التداولية المعاصرة فمنهم من يؤرخ لها منذ القدم، إذ كانت تستعمل كلمة Pragmaticus اللاتينية بمعنى(عملي) ومنهم من يرجع تأسيسها إلى الفلسفة التحليلية[1]التي اتخذت اللغات الطبيعية موضوعا للدراسة، واعتبرتها السبيل لفهم الكون، حيث رأى فلاسفة التحليل "أن الأداة المعرفية الضرورية لتحقيق ذلك الهدف هي اللغة وأنه لا سبيل إلى تجاوزها من أجل فهم علاقتنا بالعالم والكائنات البشرية [2] بل حتى علاقة الإنسان بذاته، و قد اعتمدوا "التحليل منهجا فلسفيا جديدا"[3] في دراسة اللغة بدءاً بـ " **غوتليب فريجيه** G.Frege" ثم الفلاسفة الذين اشتركوا معه في هذه الرؤية ومنهم: "**إدموند هوسرل** I.Huseerl" و **رودولف كارناب** R.Carnap"، "**لودينغ فيتنغنشتاين**Wittgenstein." ، و"**جون أوستن** J. Austin" و"**جون سورل**J. Searle"، وغيرهم.

كما يشار إلى إسهامات **موريس** عام 1938 في إشارته المهمة للتداولية وهو يقسم علم العلامات على حقول ثلاثة هي: النحو في دراسته لأهمية العلاقة بين العلامات، والدلالة التي تدرس علاقتها بالأشياء، والتداولية التي تدرس علاقة العلامات بمستعمليها ومفسريها متأثرا في تقسيمه **ببيرس** ثم تطور البحث التداولي في شروطه ومحاوره على يد **بولغرايس** عام 1975[4].

- **تعريف التداولية:**

❖ **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور تداولنا الأمر أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي مداولة الأمر. ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة....[5]

لنخلص من هذا التعريف اللغوي إلى أن التداولية لا تكاد تخرجعن معاني التبدل والتحول والانتقال من حال لآخر ومن شخص لآخر وهذا يستدعي وجود أكثر من طرف.

---

[1]بشرى البستاني. التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1،،2012م، ص 12.

[2]مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 20- 21.

[3] نفسه، ص20.

[4]بشرى البستاني. التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 31.

[5]ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط3، 1994م، ص252/253.

❖ **اصطلاحا:**

يقول "طه عبد الرحمن"، واضع المصطلح في العربية: "من المعروف أن الفعل تداول في قولنا "تداول الناس كذا بينهم" يفيد معنى "تناقله الناس وأداروه فيما بينهم، ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل ومفهوم الدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال نقل الكلام عن قائله بمعنى رواه عنه...، ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها، كما يقال: "دار على الشيء بمعنى طاف حوله. والنقل والدوران يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الناطقين"[1]وهذا المعنى اللغوي هو الذي انطلق منه لوضع مصطلح "التداولية" المقابل للمصطلح الأجنبي **Pragmatics** .

والمتمعن في مصطلح التداولية،ومفهومها يلحظ تعلقها بأصول فلسفية، يقول "ميشال آدم" أن التداولية تستعمل في المجال الفلسفي لوصف كل فكرة أو ظاهرة لا تتجلى إلا من خلال تطبيقاتها العملية، أي نتائجها وآثارها المنعكسة على الواقع[2].

كما تعرف التداولية بأنها علم استعمال الألفاظ في سياقات مختلفة[3] أي استعمالها فعليا وعلاقة ذلك بمستخدميها. ويبدو هنا، أن ما تُحدثه اللغة من آثار تنعكس على الواقع، هو من أهم ما تحاول التداولية أن تدرسه ولكن إلى جانب عناصر أخرى،وباختصار، يمكن أن تتلخص مهام التداولية في:

1- دراسة "استعمال اللغة" التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها "كلاما محددا" صادرا عن "متكلم محدد" وموجها إلى "مخاطب محدد" بـ"لفظمحدد" في "مقام تواصلي محدد" لتحقيق غرض تواصلي محدد".

2- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

3- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر

---

[1]طه عبدالرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1994، ط1، ص 244.

[2]Adam, Jean Michel, la pragmatique outils pour l'analyse létiraire, Ed Armand colin, France, 1998, P 4.

[3]محمد عناني، المصطلحات العربية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي- عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، 2003، ط3، ص 86.

4. شرح أسباب فشل اللسانيات البنيوية في معالجة الملفوظات[1] وهنا تظهر لنا بعض المعطيات الأخرى التي تهتم بها التداولية، ولكل منها دور في العملية التواصلية، وهي: المتحدثون (المخاطَب والمخاطِب)، السياق (الحال، المقام العالم الواقعي المحيط بالنص) التأثير الناتج عن استعمال الأفراد للغة في الواقع.

كما تقوم التداولية المعاصرة على مفاهيم عديدة كثيرا ما يتداولها الدارسون المعاصرون، هي: الفعل الكلامي، القصدية الاستلزام الحواري أو المحادثي متضمنات القول، [2]والحجاج.

- **مباحث التداولية**

1. **نظرية الأفعال الكلامية**

تذكر كل الكتب المؤلفة في مجال التداولية، أن مفهوم الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي عند الغرب– ارتبط بجهود الفيلسوف اللغوي "**جون أوستينJohn Austin**" مؤسس نظرية الأفعال الكلامية، ومن بعده تلميذه "**سيرلSearle**" الذي واصل التأسيس والبناء لهذه النظرية، ليتوسع مجال البحث بعدهما مع "غرايس" وغيره.... وقبل التطرق إلى تصنيف "**أوستين**" و"**سيرل**" للأفعال الكلامية يمكن الوقوف أولا على مفهوم الفعل الكلامي في الدرس التداولي.

أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد.. وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما.[3]

فالنظرية إذن ترى أن اللغة ليست شكلا ماديا يتضمن دلالة وحسب، بل تعدت ذلك إلى القوة الإنجازية التي تتحقق من القول، ومدى تأثيرها في المتلقي. وهذا ما يوضحه **طه**

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، 2005، ط1، ص 26– 27.

[2] نفسه، ص 30.

[3] نفسه، ص 40.

عبد الرحمن في إشارته إلى أن فكرة نظرية الأفعال الكلامية، هي أن الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة.[1]

يقول **فانديك**" : "وما نعنيه عادة بقولنا إننا نفعل شيئا ما، متى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعد وعدا ما ونطلب وننصح وغير ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه أفعال الكلام، ويطلق عليه على نحو أخص قوة فعل الكلام .[2]

يعني أن قضية الإنجاز عن طريق اللغة هي ما يقوم عليه مفهوم الفعل الكلامي، وهذا يبين " أن اللغة ليست بنى ودلالة فقط، بل هي أيضا فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضا فهو عمل يطمح من خلاله أن يحدث تغييرا معينا في سلوك المخاطب إن بالفعل أو بالكلام" [3]، وهذا ما يؤكده **دومينيك مانغونو** في تعريفه للفعل الكلامي بقوله : " والمقصود به الوحدة الصغرى، التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر طلب تصريح، وعد...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إن المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي للفعل المتلفظ ".[4]

أولا/ الفعل الكلامي عند أوستين:[5]

يمكن تلخيص فكر **أوستين** في نقطتين اثنتين:

1. **الفكرة الأولى:** رفض ثنائية الصدق والكذب.
2. **الفكرة الثانية:** تتمثل في إقراره بأن كل قول هو عبارة عن عمل.[6]

---

[1] طه عبدالرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 11.

[2] فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 263.

[3] خولة طالب الابراهيمي، عن التداولية، مجلة اللغة والأدب، ع 16، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ديسمبر 2003، ص 119.

[4] دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ط1، ص7.

[5] John Austin, How to do things with words, Oxford university press, Amen house, London, 1962, p 73- 104.

[6] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 22.

انطلق **أوستين** من ملاحظة بسيطة، مفادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية، أو تعجبية، أو أمرية، لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، وبالفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع بل لتغييره؛ فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة وإنما تغيرها، أو تسعى إلى تغييرها، فقد فكر أوستين في جمل من قبيل (آمرك بالصمت) أو (أعدك بأن آتي غدا)؛ ففي هذه الجمل لا نقول شيئا عن حالة الكون، وإنما نسعى إلى تغييره فقائل آمرك بالصمت مثلا يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبه، فيحتمل أنه يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه.[1] يظهر من الكلام السابق أن اللغة عند **أوستين** لم تعد تقتصر على وصف العالم الخارجي بالصدق أو بالكذب بل أصبحت تسعى إلى التغيير والتأثير.

وانطلاقا من تلك الملاحظة استنتج "أوستين" أنه من ضمن الجمل الخبرية توجد جمل تصف الكون ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، كما توجد أخرى لا تصف الكون ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب. فسمى أوستين الجمل من الضرب الأول وصفية، ومن الضرب الثاني إنشائية، وهي التي تتميز بخصائص لا توجد في الوصفية، كالإسناد إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وبتضمنها أفعالا من قبيل: أمَر، وعَد وأقسَم...[2]

نستخلص أن أوستين قد خلص إلى أن الجمل الخبرية صنفان:

-جمل وصفية إثباتية أو تقريرية، تحتمل الصدق أو الكذب.

- جمل خبرية لكنها غير وصفية ذات خصائص معينة، ولا يمكن تطبيق معيار الصدق والكذب عليها. إن خاصية الجمل الأخيرة تكمن في أننا عندما نتلفظ بها ننجز في الوقت ذاته أعمالا، وكذلك الشأن بالنسبة للأقوال التالية:

- أتمنى لكم سفرا ممتعا.

- أرجو منكم المعذرة.

- نشكركم على حسن انتباهكم.

---

[1] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد للتواصل)، ترجمة سيف الدين دغفوس مراجعة لطيف زيتوني، نشر المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 1998، ص 30.

[2] نفسه، ص 31.

لا يمكننا وصف هذه الأقوال بالصدق أو الكذب؛ إذ إن كل ما يمكن أن نقوله هو أن هذه الأقوال قد تنجح أوقد تخفق، أو أنها تستجيب لمقتضى الحال أو لا، ويسمّي **أوستين** هذه الأفعال بالأفعال الإنشائية، وهكذا عندما أتلفظ بها أنجز في الآن نفسه عملا، وهذا النوع من الأفعال ينعكس على نفسه: أرجو منكم المعذرة، فهذا القول يعبر في الوقت نفسه عن أنّ ثمة طلبا للمعذرة، فضلا عن كوني أعرب عن رجاء.[1]

هذا، وقد توصل **أوستين** في آخر مرحلة من مراحل بحثه، إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية، على النحو الآتي:

أ . فعل القول، أو الفعل اللغوي.

ب . الفعل المتضمن في القول.

ج . الفعل الناتج عن القول.

أ–فعل القول أو الفعل اللغوي: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة؛ ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، ولكن "أوستين" يسميها ،أفعالا الفعل الصوتي؛ وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي؛ فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي؛ فهو توظيف هذه الأفعال حسب معانٍ وإحالات محددة، فقولنا مثلا: إنها ستمطر، يمكن أن نفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي إخبار بأنها ستمطر، أم أنها تحذير من عواقب الخروج في الرحلة، أم أمر بحمل مظلة، أم غير ذلك، ولا يمكن الفصل إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.[2]

ب– الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ يتم إنجاز عمل بقول ما. وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، لذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك السؤال، إجابة السؤال تأكيد، أو تحذير، وعد أو أمر، شهادة في محكمة، .... والفرق بين الفعل الأول (أ)

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 41.

والفعل الثاني (ب) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

ج- الفعل الناتج عن القول: يرى أوستين أنه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة الإنجازية)، قد يكون الفاعل – وهو هنا الشخص المتكلم – قائما بفعل ثالث هو "التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر "، ومن أمثلة تلك الآثار الإقناع التضليل الإرشاد التثبيط،...[1] وهذه الآثار هي الفعل الناتج عن القول.

- **تصنيف أوستين للأفعال الكلامية:**

قام أوستين بتصنيف جميع الأفعال اللغوية في خمس مجموعات، كما يلي

1- الحكميات Verdictives : تتمثل في الأفعال المرتبطة بالحكم مثل:

التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر الإحصاء، التوقع، التقويم، التصنيف، التشخيص...

2- التنفيذيات أفعال الممارسة Exercitives تقضي بمتابعة أعمال مثل:

العزل والطرد، التوصية، الاستقالة الفتح، والغلق ونحوها، ويبدو هذا القسم فسيحا جدا، ويتأسس التمييز بين الأعمال المندرجة فيه ضمن الصنف الأول، على كون التنفيذيات هي أعمال تنفيذ أحكام، ولكنها ليست فيحد ذاتها حكميات.

3- الوعدياتCommissives : تلزم الوعديات المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة ما، نحو: الوعد، الموافقة، التعاقد، القسم...

4- السلوكيات Behabities: وهي أعمال تتفاعل مع أفعال الغير، مثل:

الاعتذار، التهنئة، الرأفة، النقد، التصفيق، الكره....

5- العرضيات Expositives : وهي أعمال تختص بالعرض، مثل:

التأكيد، والنفي، والوصف والإصلاح والذكر والمحاجة والقول والتأويل الشهادة، التفسير، والتدليل والإحالة. [2]

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 42.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007، ط1، ص 62.

ورغم ما فعله **أوستين**، إلا أنه يعترف بأنه لم يستطع تحقيق ما سعى إليه، لأن تصنيفه للأفعال الكلامية لم يكن نهائيا، ولم يكن قائما وفق معايير واضحة، وهو ما أدى إلى وجود شيء من الخلط والتداخل بين التطبيقات التي وضعها[1] **أوستين**، كما هو الحال في التداخل الموجود بين الحكميات والتنفيذيات مثلا، كما رأينا قبل قليل.

ثانيا/ الفعل الكلامي عند سيرلSearle

بعد استفادته من دروس أستاذه **أوستين**، قدم **سيرل** بعض الانتقادات لتصنيف **أوستين** للأفعال الكلامية بعدما رآه من اضطراب وتداخل فيها[2] ليطور بعد ذلك نظرية الأفعال الكلامية، معتمدا على مبدأ فلاسفة اللغة العادية، الذي يتلخص في عبارة "القول هو العمل"، وهو المبدأ الذي اعتمده **أوستين** قبله. والقول في نظر "**سيرل**" هو شكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد مما يعني إنجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه، وهي:

أ –فعل القول.ب– فعل الإسناد.ج–فعل الإنشاء.د – فعل التأثير.

1) **فعل القول:** يتمثل في التلفظ بكلمات وجمل.

2) **فعل الإسناد:** ويتمثل في ربط الصلة بين المتكلم 1 والمتكلم ،2 وهذا يعني أننا نحيل على الأنا والأنتم إحالة مع الإسناد، وهو المتمثل في مغادرة القاعة في المثال التالي " أنصحكم بمغادرة القاعة"، والإحالة والإسناد هنا يشكلان القضية، التي ليست هي بعد بفعل الكلام.

3) **فعل الإنشاء:** ومنه يتحقق الفعل الإنشائي، أي القصد المعبر عنه في القول، وقد يكون هذا القول نصيحة، أو إشعارا أو تحذيرا، أو تحديدا أو وعدا أو أمرا.

4) **فعل التأثير:** وهو قصد المخاطب، وغايته في خلق تأثير على المخاطب، لتحقيق نتيجة وهدف سعى إليه منذ الفعل الأول وهو فعل القول.[3]

كما أن **سيرل** لم يهتم إلا بالأعمال المتضمنة في القول، فلقد شك في وجود أعمال تأثير بالقول، بل تمثل إسهامه الرئيس في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل

[1] جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقي الشرق، المغرب، 1991، ص 175.

[2] Jhon Searle, Expression and meaning, Studies in the theory of speech acts, Cambridge university press, London, 1981, P 8- 11.

[3] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 25– 26 .

المتضمن في القول في حد ذاته، وهو ما يسميه باسم القوة المتضمنة في القول، وما يتصل بمضمون العمل، وهو ما يسميه واسم المحتوى القضوي، ففي جملة "أعدك بأن أحضر غدا" نجد أن "أعدك" هو واسم القوة المتضمنة في القول، وأن "أحضر غدا" هو واسم المحتوى القضوي، وهكذا فإن القائل الذي يتلفظ بجملة أعدك بأن أحضر غدا" يقصد في مقام أوّل الوعد بأن يحضر غدا، ويحقق هذا المقصد بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة جملة أعدك بأن أحضر غدا.[1]

ويعني هذا وجود نية الحضور التي ظهرت من خلال الوعد، ثم إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج الجملة المعبرة عن ذلك، تبعا للقواعد التي تحكم اللغة المستعملة.

كما يتمثل الإسهام الثاني لسيرل، في تحديده للشروط التي بمقتضاها يُكلل عمل متضمن في القول بالنجاح.[2]

- **تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية:**

قام **سيرل** بإعادة النظر في تصنيف **أوستين** للأفعال الكلامية، ثم جعلها على خمسة أصناف هي:

1- الإخباريات أفعال التقرير Asertives وهي التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم، حيث الكلمات تتطابق مع العالم، والحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة، مثل "سيأتي غدا"، وتتميز باحتمالها الصدق والكذب، وباتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم؛ بحيث يكون القول مطابقا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي.

2- الطلبيات (التوجيهيات)Directives : أو الأوامر ، والهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما، ويجب أن يطابق العالم الكلمات، وتكون الحالة النفسية رغبة / إرادة مثل قولك: اخرج.

3-الوعدياتCommissives: والهدف منها جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل، ويجب أن يطابق العالم الكلمات، والحالة النفسية الواجبة هي صدق النية، وقد أخذ "**سيرل**" هذا القسم عن أوستين، والمثال عليه: سوف آتي.

---

[1] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد للتواصل)، ص 33.

[2] نفسه، ص 34.

4- الإفصاحات أو التعبيريات Expressives: يكون الهدف منها هو التعبير عن الحالة النفسية، بشرط أن يكون ثمة نية صادقة، ولا توجد مطابقة الكون للكلمات، ويسند المحتوى خاصية إما إلى المتكلم أو المخاطب، وهذا يوافق إجمالا السلوكيات في تصنيفية أوستين، ومثال ذلك قولك: اعذرني.

5- التصريحيات Declarations : يكون الهدف منها إحداث واقعة ويكون التوافق بين الكلمات والعالم مباشرا دون تطابق، ومثاله: "أعلن الحرب عليكم ".[1]

هذا، وقد خصص **سيرل**جزءا كبيرا من أعماله لحصر ما يميز "الفعل المباشر" عن "الفعل غير المباشر"، وقد ميز "الفعل الإنشائي الثانوي" الذي بواسطته يتلفظ المتكلم بجملة يطابق معناها الحقيقي (عكس المجازي) القصد الذي هو في نفس المتكلم، والفعل الإنشائي الأولي" الذي يستنبطه المستمع من مجموع أوضاع التواصل (أو التخاطب).[2]

بعد كل ما سبق وبالعودة إلى الدرس العربي، يظهر أن علماء البلاغة والنحو وأصول الفقه قد درسوا ظاهرة الأفعال الكلامية، ويتجلى ذلك ضمن ما يعرف بالخبر والإنشاء، الذي يندرج تحت علم المعاني، وغيره من المباحث الدلالية التي تبرز فيها الأبعاد التداولية للغة والأفعال الكلامية خاصة، كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، .... "فالمتصفح لأمهات الكتب العربية في البلاغة والمنطق، أصول الفقه، والنحو ... يجد أن علماءنا قد توسعوا في بحث الظاهرة، وتعمقوا في تحليل مفاهيمها، وتطوير أسس التمييز بين الخبر والإنشاء، وإيراد إشكالات عليها، والإجابة على تلك الإشكالات مما يفتح للباحث مجالا واسعا للدراسة والمقارنة والتحليل".[3] كما تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين.[4]

2.الاستلزام الحواري (conversational implicature)

شكل المعنى حيزا كبيرا في اهتمامات الدارسين، من القدماء والمحدثين، ولم يفت المشتغلون بالاتجاه التداولي البحث والتفكير في هذا الجانب، فمنذ مقالة **غرايس** (المنطق

[1] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان،ص 66.

[2] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 28.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ص 48.

[4] نفسه، ص 49.

والتخاطب) الذي بحث في مجموعة من المعاني المختلفة في كلامنا، إذ ذهب إلى أننا في بعض الأحيان نعني ما نقول حرفيا، وبعض الأحيان لا نعني ما نقول بل نضمر معنى آخر في خطابنا، فالأول نسميه المعنى الطبيعي (Natural meaning) و الآخر نسميه المعنى غير الحقيقي(non Natural meaning).

من هنا خرجت فكرة الاستلزام الحواري، الذي يعد من أهم مباحث التداولية، وألصقها فكرة بطبيعة البحث التداولي، وأبعدها عن مجالات البحث الدلالي[1] فتتمحور فكرته حول العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وتحديد دلالات الخطاب عن طريق التفاعل بينهما، فثمة معان صريحة يلقيها الباث، لا يتكلف المخاطب مشقة في الوصول إليها ، وثمة إضمارات حوارية مكنونة في بعض الخطابات يرمي الاستلزام التخاطبي إلى الوقوف عليها في التداول الفعلي، فيفسرها ويأولها وفقا للظروف والسياقات المحيطة بها ، سواء أكانت نفسية أم اجتماعية أم ثقافية أم تاريخية ، ومنها ما يعنى بالسيكولوجيا الشعبية (عادات وتقاليد الشعوب)، فالمتكلم لا يبني كلامه بعزلة عن العالم الخارجي، أو عن المخاطب بصورة خاصة ، بل على ضوء الفرضيات التي بناها مسبقا عن المتلقي وشخصيته الثقافية والاجتماعية وقدراته الفكرية على استنباط المعاني والاستدلال عليها [2].

أولا / أنواع الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري على نوعين : **استلزام معرفي** ونعني به كون مجموعة من الألفاظ تستلزم معانيا معينة بشكل دائم ، مهما اختلفت مقامات الخطاب وتنوعت السياقات ، مثل لفظة(لكن) وتقابلها في الانكليزية (but) فهذه اللفظة دائما يكون ما بعدها مخالفا لتوقعات المخاطب ، فلا يحتاج المتكلم إلا إلى المعرفة بقوانين التركيب ، ودلالات الألفاظ المعجمية للوصول للمعاني، وبمعنى آخر فهي استلزامات محادثية معممة، تعتمد على الوحدات اللغوية وحدها مستقلة عن السياق[3]، أما الاستلزام الحواري فهو عبارة عن استلزامات محادثية

[1]محمود أحمد نخلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ، دار المعرفة الجامعية ، 2002، ص 32.

[2]ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، أطروحة دكتوراه، جامعة لخضر باتنة، د.ت، ص 108.

[3]جاك موشلار – آن ريبول، القاموس الموسوعي في التداولية،ص267.

مخصصة فهو متغير دائما بتغير السياقات[1]، فهي ترتهن بتمكن طرفي الخطاب من المعلومات الخلفية التي تكون المعارف المشتركة .

ثانيا / خصائص الاستلزام الحواري:

وفقا لـ**غرايس** فإن الاستلزام الحواري يتصف بمجموعة من السمات، وهي[2]

1. **الاستلزام قابل للإلغاء:** ويحدث ذلك عادة بأن المتكلم يضيف قولا يسد الطريق أمام المخاطب وهو في طريقه نحو الاستلزام، أو يحاول دونه فإذا قالت قارئة لكاتب مثلا: لم أقرأ كل كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها : الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها، فقد ألغت الاستلزام، و إمكان الإلغاء هذا هو أهم اختلاف بين المعنى الصريح و المعنى الضمني، و هو الذي يمكن المتكلم من أن ينكر ما يستلزمه كلامه.

2. **الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي (عدم الانفكاك)**[3]: ونقصد بذلك أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها. ولعل هذه الخاصية هي التي تميز الاستلزام الحواري عن غيره من أنواع الاستدلال التداولية مثل الاقتضاء التخاطبي، كما يتضح ذلك في الحوار الذي يدور بين أخوين:

لا أريدك أن تتسلل إلى غرفتي على هذا النحو.

أنا لا أتسلل ولكن أمشي على أطراف أصابعي؛ خشية أن أحدث ضوضاء.

نلحظ أن المراد من الخطاب لم يتغير، وهو رفض دخول الغرفة خلسة،مع تبدل المفردات.

3.الاستلزام متغير: تبعا لاختلاف السياقات المقامية، فالمعنى الواحد يمكن أن يؤدى إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا سألت طفلا يحتفل بيوم ميلاده مثلا: كم عمرك؟ فهو طلب للعلم، وإذا سألت السؤال نفسه لصبي عمره خمسة عشر عاما فقد يستلزم السؤال مؤاخذة له على نوع من السلوك لا تقبله منه، ومثل ذلك أن يقال لرجل سرق متاعه يوم

[1] نادية النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس، الإسكندرية،2013، ط1، ص 80.

[2] محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 38.

[3] بنعيسى عسو ازاييط، الخطاب اللساني العربي (هندسة التواصل الاضماري)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، 2012،ط1، ص 336.

العيد: تلك أفضل هدية، ومن الممكن أن تقال هذه العبارة نفسها لرجل تلقى رسالة من صديق قديم يوم العيد، أو طالب بشر بنجاحه.

4. **الاستلزام ممكن تقديره (خاصية التأويل والحسبان)**:بمعنى أننا نستطيع الوصول إلى المعاني المستلزمة بخطوات محسوبة، فلو وصفنا مثلا رئيسة وزراء بريطانيا السابقة **مارغريت تاتشرد** بالمرأة الحديدية، لوصلنا للمعنى المستلزم بسهولة، لأننا أردنا أن نضفي عليها بعض صفات الحديد كالصلابة والقوة.

5. عدم الوضعية: تترجم هذه السمة ببساطة بأن الاستلزامات الخطابية لا تمثل جزءا من المعنى الوضعي للعبارات اللغوية، ولكنها تستلزم سلمية في المعالجة بين المعنى الحرفي والضمني وبين المظاهر الصدقية وغير الصدقية للقول.[1]

ثالثا / مبادئ الحوار:

يرى **غرايس** أن كل عملية تحاور بين طرفين تحتكم إلى مجموعة من القوانين والقواعد والمبادئ العامة، التي يحتكم إليها طرفا الخطاب، وتكون هذه القوانين محترمة من قبل طرفي الخطاب، وتحدد تلك القوانين ما يجب أن يفعله المساهمون في الحدث اللغوي بأقصى طريق تعاوني عقلي كاف، وأي خرق لتلك القوانين يؤدي إلى اختلال المعنى، وحدد **غرايس** هذا المبدأ وأطلق عليه مبدأ التعاون (cooperative principale) الذي تتفرع عنه مجموعة من القواعد أو مقولات، وهي كالآتي [2]:

1. **مقولة الكم** (quantity) أي اجعل كلامك على قدر المعلومات المطلوبة، لا زيادة فيه أو نقصان، فلو أن أحد الأمهات سألت ابنها: هل نظفت أسنانك وغسلت ثيابك؟ وأجابها بأنه نظف أسنانه وسكت، فهنا أخل بقاعدة الكم؛ لأنه أجاب عن أحد طرفي السؤال وسكت عن الآخر.

2. **مقولة الكيفية** (Quality): وتعني بان يكون كلامك صادقا، وتتحرى فيه النزاهة والشفافية، فلو أن معلما خاطب تلميذه بعد أن سلمه نتيجة الامتحان، الذي أخفق فيه فقال له: إن إجابتك مذهلة، فهنا أخل المعلم بمبدأ الكيف؛ لأن كلامه لم يكن صادقا.

---

[1] جاك موشلار – آن ريبول، القاموس الموسوعي في التداولية،ص 272.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص 85.84

3. **مقولة الإضافة أو الملاءمة** :(relation) أن تجعل مساهمتك في الحوار ملائمة لمقتضى الحال، وليناسب مقالك مقامك، وأن يكون مفيدا لعملية التواصل، فلو أن والد تلميذ سأل أستاذ التلميذ عن مستوى ابنه في مادة الحساب؟ فأجابه المعلم: بأن الطالب لديه شغف بمادة التأريخ، فهنا خرج المعلم عن قاعدة الملائمة، فجوابه لم يكن مساوقا لمقتضى السؤال.

4. **مقولة الجهة الطريقة** (manner) احترز من الالتباس والإجمال، وليكن كلامك مرتبا وموجزا، فلو أن معلما خاطب تلميذه: اذهب وادخل المفتاح في باب غرفتي وأدره ثم ادخل الغرفة وافتح أدراج مكتبي وابحث عن كتاب النحو ثم أغلق باب الغرفة بالمفتاح جيدا واجلب الكتاب، فهنا حدث خرق نتج عنه عدم الإيجاز في الكلام. وقد وجدت جذور هذا المنهج في مقولة **فتجنشتاين:** إن ما يمكن قوله على الإطلاق يمكن قوله بوضوح، وأما ما لا نستطيع أن نتحدث عنه فلا بد أن نصمت عنه.[1]

إن الهدف من مبدأ التعاون وضع أسس وقوانين منضبطة للحوا، محترمة من طرفي التواصل، حتى وإن لم يشعرا بها أو يعرفاها، فهي معروفة ومتوطنة في سليقة المتكلمين، يفرض المتخاطبون على بعضهم الاحترام المتبادل لهذه القواعد، بما يسمح للمستقبل أن ينشئ الدلالة المناسبة، وبعكسه فعلى المخاطب أن ينحرف عن الدلالة الحرفية، ويتجاوزها، ويبحث عن دلالة استلزامية غير مباشرة، يجدها في مضامن القول، وهذا يفسر سبب الفشل في أي حوار لا يحترم تلك القواعد، فلو سأل سائل: من فاز بجائزة نوبل في اللسانيات العربية؟ وكان الجواب: وهل توجد لسانيات عربية؟ فالملاحظ أن الإجابة تعتبر إجابة فاشلة؛ لأنها خالفت مبدأ الكم والورود، لكن يبدو أن المجيب أراد تعاونا من شكل آخر؛ لأنه خلق مجالا دلاليا آخر، وهذا ما يؤدي إلى خلق افتراض نقيض للمؤشرات السطحية [2]، مفاده تأخر الدراسات اللسانية في الوطن العربي، ومن ثم عدم ارتقائها لمرتبة تخصص لها جائزة في التصنيف والبحث.

رابعا / الدلالة الحرفية والدلالة الاستلزامية:

جرت البلاغة – منذ أرسطو على الأقل – على تمييز الاستعمال الحرفي للغة من الاستعمال غير الحرفي، فإذا قلنا: القط فوق الحصير، فإننا نستعمل اللغة حرفيا، وإذا قلنا

[1] جمال حمود، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر ،2009، ط1، ص 247.

[2] بنعيسى عسو ازاييط، الخطاب اللساني العربي (هندسة التواصل الاضماري)، ص 289– 290.

لأحد الأطفال: غرفتك حظيرة أبقار، فإن استعمال اللغة هنا غير حرفي، لأننا نريد أن نبلغه أن غرفته متسخة وغير مرتبة، تشبه حظيرة الأبقار [1]، فأي تواصل يكون تصريحيا بشكل جزئي، وضمنيا بشكل جزئي أيضا وكل دلالة تنشأ في قسم منها معطيات ضمنية، وغالبا ما يبدو في الواقع نصيب الضمني أكثر من نصيب الحرفي؛ لأنه موجود بالغالب حيثما نظرت، سواء تعلق الأمر بالمعنى الحرفي، أو بالقيمة اللاقولية أو بالأعمال غير المباشرة، أو بالإخباريات، أو برؤية للعالم يختص بها لسان معين [2].

فالمعنى الحرفي ينتج عن طريق ضم هذه العناصر إلى بعضها، وحينما يتعذر فهم النص بعد ذلك، ويكون الفهم مستحيلا، نلجأ إلى المعاني المستلزمة، وثمة دلالات نطلق عليها الدلالات الأصول كـ (الخبر والاستفهام والأمر والنهي والتمني والدعاء والتحذير والتحضيض والالتماس) وكذلك المعنى الحقيقي مقابل المعنى المجازي، وأخرى فرعية تمثل الدلالات المستلزمة أو الفروع أو الدلالات الضمنية، التي تخرج إليها تلك الدلالات الأصلية، وتتدرج عملية الانتقال من النسق الحرفي إلى النسق الضمني في مراحل عديدة:

1. معالجة التعبير بوصفه تعبيرا حرفيا.
2. التوصل إلى عدم حرفية دلالة الألفاظ والتراكيب.
3. اعتماد إستراتيجية تفكيكية بديلة للوصول إلى الدلالة المستلزمة.

فمن الدلالات المستلزمة المشهورة قولهم: كثير الرماد، كناية عن الكرم.

أ. قال المتكلم: إن زيدا كثير الرماد .... (إثبات / فعل كلامي).

ب. السياق سياق مدح بكثرة العطاء .... (السياق / قرائن الحال).

ت. المخاطب يدرك أن كثرة الرماد ليست مما يمتدح به ....(الخلفية المعرفية).

ث. ما يعرضه المتكلم غير ملائم ..... (مبدأ الملاءمة).

ج. ما دام المتكلم على عقد التعاون فلا بد أنه قاصد إلى معنى آخر.... (مبدأ التعاون).

ح. ما دام السياق مدحا لكثرة العطاء فلا بد من علاقة بين كثرة الرماد وكثرة العطاء (الملاءمة والمعقولية والإفادة).

---

[1] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 181.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص 144.

ومن هنا تبدأ خطوات الاستدلال:

أ. كثرة الرماد ناتجة عن كثرة الجمر.

ب. ب كثرة الجمر ناتجة عن كثرة إحراق الحطب.

ت. كثرة إحراق الحطب ناتجة عن كثرة الطبخ.

ث. كثرة الطبخ دليل على كثرة الأكلة.

ج. كثرة الأكلة دليل على كثرة الضيوف.

ح. كثرة الضيوف دليل على الكرم.

خ. الكرم مما يمتدح به الخلفية المعرفية.

إذن كثرة الرماد تعني وفرة الكرم [1].

3. متضمنات القول:

عندما نتكلم تفيض مقاصدنا عن الأقوال التي ننجزها، فالقصد عمل عقلي هلامي الأبعاد والمرجعيات تمثله المضامين التي يبغي المتكلم تبليغها إلى مخاطبه، في حين يُعد القول عملا لسانيا موجها تحكمه قوانين التأليف وتجسّده الكلمات والجمل بما تحمله من شحنات دلالية، لذا يُعوّل المتكلم على فهم المتلقي وقدرته على إدراك ما يسكت عنه القول من إيحاءات وتضمينات يشي بها سياق التخاطب، " فالمرسل لا يلجأ إلى التضمين إلا إذا اطمأن بأن المتلقي قادر على الوصول إلى المعنى الضمني، أو له إمكانية استدلالية للوصول إلى مضمون الخطاب[2]، فحسن التلقي مرهون بوجود معرفة أساسية سابقة يشترك فيها المساهمون في عملية التواصل وبسرعة استحضارها إذا ما اقتضاها المقام ، لأن التضمين يؤدي إلى تحميل الكلام أوجه خفية ومعاني ضمنية يفهمها المتلقي بالاحتكام إلى مرجعه اللغوي والثقافي والمعارف التي يتشاركها مع المرسل وقد يلجأ المرسل إلى التضمين مرغما تحت وطأة المعوقات التي تمنعه من التصريح في بعض الأحوال خوفا من العاقبة أو هروبا من المسؤولية ، ومن ذلك محظورات السياسة والدين والأعراف .

[1] ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ص 396- 397.

[2] حسن بدوح، المحاورة: مقاربة تداولية. عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2012، ص 164.

يرى **أوزفالد ديكرو** " أننا بحاجة مستمرة إلى التعبير عن أشياء مخصوصة، والتظاهر في الآن نفسه بأننا لم نعبر عنها، بطريقة تنأى بنا عن تحمل أي رقابة أو مسؤولية[1].

يقسم التداوليون متضمنات القول إلى قسمين متكاملين: الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة، وكلاهما مهم في استجلاء المقاصد الضمنية التي يكتنزها الخطاب، وحتى لا يرتبك القارئ في الفصل بينهما نتيجة تداخلهما وجب عرض كل منهما بشيء من الضبط والتمثيل.

أولا/ الافتراض المسبق:

تقول **أوركيوني:** " تصنّف في خانة الافتراضات المسبقة كل المعلومات التي وإن لم تكن مقررة جهرا، إلا أنها تنتج تلقائيا من صياغة القول الذي تكون مدونة فيه، بغض النظر عن خصوصية النطاق التعبيري الأدائي[2] ، بمعنى هي منطلقات الخطاب القابعة في الخلفية التواصلية للمتخاطبين، حيث ينطلق المرسل من افتراضات مسبقة يعتقد توفرها لدى مخاطبه، وتُعدّ مفاتيح فهم الخطاب باعتبارها وضعا مشتركا يتفق عليه المتخاطبان، وهي معنوية تُدرك من السياق ولا يتيسر الكشف عنها في ثنايا العبارة.[3]

فلو قلنا مثلا: " هدوء من فضلكم "، سيكون افتراضها المسبق لدى طرفي الخطاب أن ثمة ضوضاء أو قلنا : " أغلق الباب ، فردّ آخر قائلا : لا تغلق الباب "، سيكون الافتراض المسبق لديهما أن الباب مفتوح يقول **غوفمان:** " إنّ المتكلمين يدركون في اللاوعي أن سامعهم يعتمدون على الافتراضات السابقة في محاولتهم فهم ما يقال لهم ، ويُعتقد أن المتكلمين بدورهم يدركون أن مسؤوليتهم تقديم مهماتهم في المحادثة الدائرة بطريقة تمكن سامعيهم من فهم المقصود بالاعتماد على الافتراضات السابقة المتوفرة لديهم [4]، وعلى أساسها يضمن المرسل خطابه مقاصد مضمرة يطمئن إلى قدرة المتلقي على فهمها وإدراك أبعادها السياقية . لأنه ينطلق في قراءتها من مرجع سابق يشترك فيه مع المرسل، بما يتيح

[1] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن، 2016،ص 141.

[2] كاترين كيربراتأوركيوني ، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان ، 2008، ص 48.

[3] نادية رمضان مختار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2013، ص 104.

[4] نادية رمضان مختار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص 104.

لهما التواصل دونما تشويش، وعليه نستنتج أن الافتراض المسبق يُبنى على الخلفية الذهنية المشتركة بين الأطراف المتحاورة بغاية تحقيق تواصل اجتماعي ناجح.

ثانيا/ القول المضمر:

يختلف القول المضمر عن الافتراض المسبق بأنه ينتج عن تأويل الأقوال المنجزة فعلا للظفر بما يمكن أن تبوح به من دلالات ، في حين يرافق الافتراض المسبق عملية إنتاج الخطاب ويستشرف قدرة المتلقي على فهم الرموز والإيحاءات بالاحتكام إلى مرجعه اللغوي والمعرفي ، حيث يرتبط الافتراض المسبق بفعل التشفير ويرتبط القول المضمر بإزالة التشفير ، لأن القول المضمر هو " كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث[1] فلو قلنا مثلا : تأخر الوقت ، سنتمكن من إدراك جملة من الإضمارات يحققها تسييق العبارة ، من قبيل : – سأذهب إلى النوم لأني أعمل باكرا ، أو – اعتذارك غير مقبول أو – انتشر المرض ولا جدوى من التدخل الجراحي... وغيرها من الدلالات السياقية التي يمكن أن تتلون بها العبارة.

[1] ينظر حافظ اسماعيلي علوي . التداوليات . علم استعمال اللغة، 2011، ص 44.

المبحث الثاني: الحجاج:

- **مفهوم الحجاج**

❖ لغة

نتعرض في هذا الجزء من البحث للفظ الحجاج من حيث الدلالة اللغوية عند علماء اللغة قديما، ويجدر بنا أن نتغلغل في بطون أمهات المعاجم اللغوية لمعرفة الأصول الأولى لمادة "ح. ج. ج" ، ففي لسان العرب وتحت مادة "ح. ج.ج" نجد الكثير من المشتقات الفعلية والإسمية دالة على تنوع السياق اللغوي الذي يعكس سياقات ثقافية مختلفة وهي كالآتي:

حجج: "الحج: القصد. حج إلينا فلان أي قدم.

–والمحجّة الطريق، وقيل جادة الطريق.

–والحجّة البرهان وقيل الحجّة ما دوفع به الخصم ، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة[1].

–وحجّه يحجّه حجّا غلبه على حجّته وفي الحديث فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة.

والحجّة: الدليل والبرهان، ومنه حديث معاوية فجعلت أحج خصمي أغلبه بالحجة.[2] تبين هذه التحديدات القاموسية أن لفظ الحجاج في مضمونه يحمل دلالة ومعنى، متمثلا في النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج.

ولا بأس أن نستأنس بمعاجم لغوية أخرى لما يحمله هذا المصطلح من دلالات ومفاهيم قال **الزمخشري:** "حجج: إحتج على خصمه بحجّة شهباء، وبحجج شهب، وحاج خصمه فحجه وفلان خصمه، محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة[3]، **فالزمخشري** حصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظفر.

---

[1]ابن منظور، لسان العرب مج ،2 دار صادر، بيروت ،لبنان د.ت مادة "ح. ج. ج"، ص 288.

[2]نفسه، ص 288.

[3]محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري أساس البلاغة ، ج 1 ، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، مادة "ح. ج. ج"، ط1، ص 169.

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة للمدلول اللغوي لمادة "ح. ج. ج" التي استفاضت في تفسيرها أمهات الكتب العربية واللغوية وما حملته من دلالات يمكننا القول بأن مادة "ح. ج. ج" تفرعت منها معاني جزئية ثلاث:

فالمعنى الأول: المحاج وهو صاحب الغلبة _الغالب_ والثاني: المحجوج _المغلوب_ والثالث: الحجج التي يتبادلها المتخاصمان[1].

وهكذا فالتفسير اللغوي يبقى قاصرا وضيقا وتشوبه بعض النقائص لا يحوي مفهوم الحجاج لكونه علما قائما بذاته له أركانه وطرائقه.

❖ **اصطلاحا:**

عرفه **الشريف الجرجاني** فقال: ما دل به على صحة الدعوى وقيل: الحجة والدليل واحد[2]، يفهم من هذا التعريف أن الحجة تدل على البرهان والإثبات. يعتبر الحجاج مجالا من مجالات التداولية إذ يرتبط مفهومه بالأفعال اللغوية. وفي هذا المجال يعرفه ***ماس***: بكونه سياق من الفعل اللغوي تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وادعاءات مختلف في شأنها، هذه الفرضيات المقدمة في الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي.[3]

كما يتحدد مفهوم الحجاج أيضا بأنه خطاب إقناعي، أي أن هدفه التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه وإما لتغيير رأيه فيبني موقفا جديدا سواءًا كان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذاتي أو يقتضي فعلا ما.[4]

- **<u>طبيعة الخطاب الحجاجي</u>:**

ليس كل خطاب هو بالضرورة خطاب حجاجي فقد يخلص إلى غاية ذاتية دون أن يهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، وبالتالي هدف الخطاب ليس بحجاج حتى وإن كانت هناك تعابير حجاجية تأتي بشكل عرضي، لا يكون هدفها الحجة أو الاستدلال على موقف أو الدفاع عن أطروحة أو حمل الآخر على الانخراط في عمل ما.

---

[1] سعيد فاهم معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، ص 14.

[2] محمد العبد النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع مجلة فصول)، ع60، صيف 2002، ص 44.

[3] كورنيلافونرادالصكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب منوبة، 2003، ص13.

[4] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير إفريقيا الشرق المغرب، 2006، ط1، ص 128.

وهذا ما يؤكده **بلانتين** بقوله: من الشرع الاعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط فهناك الكثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية.[1]

وهكذا يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية[2]وليس العلاقة التخاطبية وحدها فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المدعي، ولا مخاطب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المعترض. وإذا ثبت أن الحجاج هو الأصل في الخطاب، ثبت أيضا أن العلاقة الاستدلالية هي علاقة أصلية يتفرع عليها سواها ولا تتفرع على سواها؛ فإذا تضمن الخطاب علاقة تخاطبية فيجب إذن ردها إلى العلاقة الاستدلالية[3]

كما أن هناك سمات يعرف بها النص الحجاجي من غيره. وقد جمعها **بنوا رونوا** في النقاط التالية:[4]

1. **القصد المعلن:** إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبر عنه بالطريقة الإيحائية.

2. **التناغم:** يوظف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال، وتكون له معرفة لنفسية المتلقي وقدراته، ويتجلى أيضا في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.

3. **الاستدلال:** وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، فالنص الحجاجي قائم على البرهنة وإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبا عقليا لعناصر لغوية.

4. **البرهنة:** إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال[5].

---

[1]طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص226.

[2] نفسه، ص 226.

[3]سامية الدريدي، الحجاج في الشعر من الجاهلية إلى القرن الثالث هجري عالم الكتب، الأردن، 2008، ط1، ص 26.

[4]الشريف الجرجاني، التعريفات تح محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت لبنان، 2003 ،ط1، ص145.

[5]حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، ط 2010، ج 2 ص 66.

والحجاج مثل ما ذكرنا سابقا أنه يؤرخ له منذ عهد الفلاسفة واليونانيين (المناطقة)، حيث عرفوه بأنه: القدرة على قوة الإقناع والتأثير في النفس4، وتحريك العواطف واستمالة الوجدان وتغيير الأفكار والعواطف. حيث أدرج الحجاج قديما ضمن الخطابة والبلاغة وذلك من خلال كتابي **أرسطو** (الريطوريقا، والبلاغة).

فإذا تتبعنا مسار حركة الحجاج في العصر الحديث نقف لما قاله كل من **بيرلمان وتيتيكا**، حيث تحدث كل منهما عن الغاية من الحجاج بقولهما: غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، وهو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة."[1]

ومن خلال ما تناولناه عن الحجاج منذ البدء وإلى حيث انتهى. أي من عهد **أفلاطون** إلى **بيرلمان** و**تيتيكا**. هذا لا ينفي أن للعرب باعا كبيرا في الحجاج حيث لا يمكننا تجاهل ما تناولوه بالدراسة والبحث وحتى التأليف فيه من ذلك نذكر **طه عبد الرحمن، حمادي صمود** وأبو **بكر العزاوي** ..... الخ، حيث قال هذا الأخير في كتابه (اللغة والحجاج) معرفا الحجاج بقوله: هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.[2]

يتميز مصطلح الحجاج بكثرة الحقول الدلالية والمعرفية التي تناولته، كالمنطق والفلسفة واللسانيات ونظرية القانون، وامتد الأمر حديثا إلى علم النفس وعلم الاجتماع وتخصصات أخرى، وعرف الحجاج قديما بما يسمى بالبلاغة والخطابة وفن الاقناع، وورد ذلك كثيرا في الثقافتين الغربية والعربية بمعنى الجدل والمناظرة وما إلى ذلك.

---

[1] حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، فريق بحث الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمانو تيتيكا في البلاغة والحجاج، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، تونس، كلية الآداب منوبة، ص299.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج الدار البيضاء، العمدة في الطبع، 2006 ط1، ص17.

1. الحجاج في الثقافة الغربية حديثا

❖ لغة:

يقابل هذه اللفظة في الفرنسية، لفظة Argumentation" والتي تدل على معاني متقاربة كالتي استعملت في اللغة العربية حسب ما جاء في قاموس "**روبير:**"

. القيام باستعمال الحجج.

–مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

–فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معين[1].

أما في اللغة الانجليزية فيشير لفظ "Argue" إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل التي تكون مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما[2]، فالحجة مرادف للدليل، وهي التي تلزم الخصم وتسكته.

- **الحجاج عند "بيرلمان:"**

يجدر بنا أن نتعرض للتعاريف التي قدمها "**بيرلمان** للحجاج فيجعله "مجموعة من الأساليب أو التقنيات التي تقوم في الخطاب بوظيفة وهي حمل المتلقي على الإذعان بما يعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإذعان[3].

ويقول أيضا في موضع آخر: "موضوع" نظرية الحجاج" هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد فيدرجة ذلك التسليم[4].

يفهم من هذين التعريفين أن "**بيرلمان**" جعل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيبوجمهوره.

---

[1]ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة _ لابن قتيبة، دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، إشراف الأستاذ السعيد بن براهيم جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010، ص 21.

[2]إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، إشراف الأستاذ الجودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013، ص 13.

[3]سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، ص 24

[4]عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، 2001، ط1، ص 27

أما غاية كل حجاج حسب "**بيرلمان**" فهي أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين.[1]، يفهم من هذا الكلام أن الحجاج يقوم أساسا على الحجج القوية والبارزة حتى تؤثر في السامعين.

- **الحجاج عند "ديكرو"**

الحجاج عند **ديكرو** كما جاء في كتابه الحجاج في اللغة، أنه: "إنجاز لعمليتين هما عمل التصريح بالحجة من جهة وعمل الاستنتاج من جهة أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحا بها أم ضمنية[2].

فديكرو جعل الحجاج يقوم على اللغة التي تجعل الأقوال تترابط بشكل دقيق، وأن دور المتكلم يجعل قولا ما حجّةً ليقنع بها المتلقي، ذلك على نحو صريح أو بشكل ضمني. ونوضح هذا بالأمثلة التالية:

- أنا مريض إذا أنا بحاجة إلى الراحة.
- الجو جميل لنخرج في نزهة.

إذا نظرنا إلى هاذين الجملتين، نجد أنهما تتكونان من حجج ونتائج، والحجة تقدم لتؤدي إلى نتيجة معينة، فالمرض مثلا في الجملة الأولى يتطلب الراحة، فالمرض دليل وحجة قاطعة على أن الشخص المريض بحاجة إلى الراحة، والشيء نفسه يقال على المثال الثاني فجمال الجو يدفع بالنفوس إلى التنزه.

والحجة قد تكون ظاهرة كما في الأمثلة السابقة، أو مضمرة بحسب السياق، كمافي قولنا:

- أنا بحاجة إلى الراحة.
- أنا مريض.

ففي المثال الأول ذكرت النتيجة وأضمرت الحجة، أما في المثال الثاني فلم يصرح فيه إلا بالحجة والنتيجة مضمرة.

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 27

[2] سعيدفاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، ص 30.

وأخيرا يمكننا القول بأن الغربيين تمسكوا بالإرث اليوناني، وبعثوا النظريات الحجاجية القديمة في ثوب جديد.

2. الحجاج في الثقافة العربية حديثا

لم تتعد الدراسات العربية الحديثة العرض والتفسير وإن اختلفت آراؤها، إنما تختلف في التطبيقات التي تتباين بتباين النصوص، خاصة منها القرآنية والتراثية[1]، لكننا قد نواجه ونجد وجهات نظر تحددها زاوية المعالجة التي ينطلق منها الدرس كالفلسفة لا سيما عند طه عبد الرحمن، أو البلاغة القديمة عند محمد العمري وغيرهما من الدارسين[2].

- **الحجاج عند طه عبد الرحمن:**

تمتاز النظرية الحجاجية عند طه عبد الرحمن بطابعها الفلسفي، كونه أستاذا للمنطق والفلسفة، ففي كتابه" اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" يضع حدا لنظرية الحجاج انطلاقا من كونه صفة للخطابة، ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفا خاصا ينبني على قصدين معرفيين هما (قصد الادعاء – قصد الاعتراض)، أما قصد الادعاء فهو: "أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا، حتى يحصل الناطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لأن الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق إما ناقلا بقول غيره فلا يلزمه اعتقاده، وإما كاذبا في قوله، فيكون عابثا باعتقاد غيره، فإذن المدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله[3].

وقصد الاعتراض يكون من المخاطب وهو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب[4]المطالبة بالدليل على قول المدعي فالحجاج كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه.[5]

- **الحجاج عند محمد العمري:**

يسميه (الخطاب الإقناعي) في كتابه" في بلاغة الخطاب الإقناعي "، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة، العربية معتمدا في ذلك على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب،

---

[1] هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف الجزائر، 2013، ط1،ص 30.

[2] المرجع نفسه،ص 30.

[3] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص 225.

[4] المرجع نفسه، ص 226.

[5] المرجع نفسه، ص 226.

ويركز **محمد العمري** على عنصرين من عناصر الإقناع في البلاغة العربية القديمة وهما المقام، وصور الحجاج الشاهد حيث صنف المقامات إلى نوعين:

أ. مقامات الخطابة السياسية: وتكون بين الخليفة ومحاوريه، وتقل فيها الحجج، وتسود فيها المواعظ، الوعد الوعيد.

ب. مقامات الخطابة الاجتماعية: تتمثل إما في التنظيم الاجتماعي ويضم خطب الصلح والمخاصمات، ويعتمد الحجة المقنعة والتأثير الأسلوبي. أما صور الحجاج والمتمثلة في الشاهد وهو من الحجج الجاهزة أو غير الصناعية كما يسميها أرسطو، وتجمع الأمثال الأبيات الشعرية، الآيات القرآنية[1]

وجاء في المعجم الفلسفي **لجميل صليبا** "الحجاج" هو جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله.[2]

فالحجاج من هذا المنطلق مدونة لغوية اجتماعية غايتها إقناع المعترض العاقل بمعقولية رأي من الآراء.

- **بين التواصل والحجاج**

يقال بأن لفظ الحجاج لا يدور على الألسن مثلما يدور عليه لفظ التواصل (التداولية) ولو أنه لا تواصل باللسان من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل فمثلا لو قال قائل: "إعلم أن الشرق مهد الحضارة"، فإن السامع الذي لا يعلم بمضمون هذا القول، قد لا يسلم له ذلك، فيطالبه بأن يثبت صدق قوله، قد يقول هذا القائل : لقد ضم الشرق أقدم مراكز الحضارة، وأكثرها عددا، فيعد جوابه هذا إثباتا للقول الأول، وكل إثبات هو حجة القائل.[3] فالحجاج يحاول أن ينقل معارف معينة، هدفها خلق أو توكيد قناعات وترتيبات وذلك مع المواقف، بغرض الإقناع وليس إثراء معارف المتلقي. أما التواصل يبنى أساسا على نقل المعارف بين المتكلم والمتلقي، والحجاج هو عالم يتفاعل فيه كلا الطرفين لفهم الكثير من القضايا.

---

[1] هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ص 62.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، د.ط، 1994، ص 446.

[3] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 255.

عموما نلاحظ بأن مفهوم التواصل يقترب مع مفهوم الحجاج، بحيث يصبح المفهومان معا تداوليين، وبالتالي يصعب التفريق بينهما، وهذا ليس من الناحية التعريفية التي قدمت لهما، وإنما في مجال استخدامهما، وأن التواصل يشمل كل ما يمكن أن يصدر عن الإنسان من حركات وأقوال وكلام.أن الهدف من الحجاج هو الوصول إلى إقناع السامع بفكرة ما، كان قد أخذ منها موقف الرافض، ومن ثم فهو يتم أولا بإبطال الفكرة المراد نقضها، والتي تكون مسيطرة على ذهن المتلقي، ثم إحلالها بالفكرة المراد إثباتها، وذلك باستخدام الأدلة العقلية والعلمية.

الفصل الثاني

حجاجية الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني

"سورة مريم أنموذجا"

- بين يدي السورة
- رصد أفعال في خطاب السورة
- تحليل نماذج للأفعال الكلامية من سورة مريم مقاربة حجاجية

- **بين يدي السورة:**

أولا/ اسم السورة:

اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم. ورويت هذه التسمية عن النبي ﷺ عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني عن أبيه عن جدّه أبي مريم قال: {أتيت النّبيء ﷺ فقلت: يا رسول الله إنه ولدت لي الليلة جارية، فقال: والليلة أنزلت عليّ سورة مريم فسمّها مريم}.

ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تُفَصَّلَ في غيرها.

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه.

وهي مكية عند الجمهور وعدّت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعا وتسعين، وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمانا وتسعين.[1]

ثانيا/ أسباب نزول السورة:﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: 66]

-**الآية الرابعة والستون** نزل قول الله تعالى:﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ ﴾، رداً على رسول الله ﷺ: بعد أن سأل جبريل عن سبب عدم الإكثار من زيارته.

- **الآية السادسة والستون** نزل قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: 66] في أُبيّ بن خلف حينَ أنكرَ البعثَ بعد الموت.

- **الآية السابعة والسبعون** نزل قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ [مريم: 77] في العاص بن وائل؛ إذ كان عليه ديْنٌ للخبّابِ بن الأرتّ، فجاء الأخير يطلب دينه، فرفض العاص سدَّ الدينِ حتى يكفرَ الخباب بمحمّد، فردَّ الخبّاب أنَّه لن يكفر حتى يموت :العاص فيُبعث، فردَّ العاص أنَّه إن ماتَ وبُعث فسيكون له مال وحينها سيرد دين الخباب. (أخرجه البخاري).[1]

[1]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج16، 1984، ص57-58.

ثالثا/ أغراض السورة:

ويظهر أن هذه السورة نزلت للردّ على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير.

يدور سياق هذه السورة حول محور التوحيد، ونفي الولد والشريك، ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد؛ هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة كالشأن في السور المكية غالبا.

والقصص هو مادة السورة، فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى، فقصة مريم ومولد عيسى، ثم تعقبها إشارات إلى النبيين، فطرف من قصة إبراهيم مع أبيه .... ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة. [2]

ثمّ التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين من أسلاف هؤلاء وقرابتهم، والانحناء على بعض من خلفهم من ذرياتهم الذين لم يكونوا على سننهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين وأتو بفاحش من القول إذ نسبوا لله ولدا، وأنكر المشركون منهم البعث وأثبت النصارى ولدا لله تعالى.

والتنويه بشأن القرآن في تبشيره ونذارته، وأن الله يسّره بكونه عربيا ليسر تلك اللغة، والانذار مما حل بالمكذبين من الأمم من الاستيصال. [3]

واشتملت على كرامة زكرياء إذ أجاب الله دعاءه فرزقه ولدا على الكبر وعُقْرِ امرأته. وكرامة مريم بخارق العادية في حملها وقداسة ولدها، وهو إرهاص لنبوءة عيسى عليه السلام ومثله كلامه في المهد.

والتنويه بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وإسماعيل، وإدريس عليهم السلام. ووصف الجنة وأهلها.[1]

---

[1]محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1407هـ، ص51.

[2]سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط3، 1423هـ.

[3]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ص58.

وحكاية إنكار المشركين البعث أوتبجحهم على المسلمين بمقامهم ومجامعهم.

وإنذار المشركين أن أصنامهم التي اعتزوا بها سيندمون على اتخاذها.

ووعد الرسول النصر على أعدائه.

وذكر كفرهم بنسبة الولد لله تعالى.

والتنويه بالقرآن ولسانه العربي، وانه بشير لأوليائه ونذير بهلاك معانديه كما هلكت قرون قبلهم.

وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمان ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمان، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [الفرقان: 60]﴾ .

ووقع في هذه السورة استطراد بآية ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: 64]

لقد اشتملت سورة مريم على موضوع رئيس وهو التوحيد وأن ما كان وما سيكون في كل زمان ومكان ماهو إلا بأمر من الله سبحانه وتعالى، وقد اشتملت الآيات حسب ترتيبها على ما يؤكد ذلك:

-**قصة نبي الله زكريا** عليه السلام من ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 2] إلى غاية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: 15] حيث بدأت بذكر رحمة الله المرجوة وهذه لا تكون إلا من واحد لا سواه ووصف عليه السلام حالته لله سبحانه وتعالى حيث شاب شعر رأسه ووهن عظمه وأصبح كبيراً ولم يرزقه الله بالولد، وقد خاف على بني إسرائيل من أن يتولاهم من لا يخاف الله، فدعا ربه أن يرزقه الله الولد، فاستجاب الله له وبشره بقدوم ولده يحيى -عليه السلام-، فاستغرب زكريا أشد الاستغراب، حيث كان كبيراً ولم

[1] نفسه، ص 59.

تلد زوجته من قبل، فأخبره الله أن هذا الأمر هين جداً عند الله الخلاق القدير. فعل كلامي وهو وقد طلب زكريا من ربه علامة على تحقيق موعود الله له، فأخبره الله ألا يكلم الناس ثلاث ليال متتابعات، ثم رزقه الله بيحيى مؤكدًا على دعوة والده زكريا، وقد وصف الله نبيه يحيى بعدة أوصاف، منها: التقوى، وبر الوالدين، وعدم عصيانه لله تعالى.

– **قصة معجزة حمل مريم** عليها السلام من ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم: 16] إلى غاية ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ [مريم: 34] حيث حملت السيدة مريم من غير زوج، وكان ذلك بأمر من الله تعالى، وقد جعله الله آيةً لبني إسرائيل ليعلم من يتّبع أمر الله ومن يعصيه، وقد أكرم الله مريم بمعجزاتٍ تُعينها على حملها من تيسير هزّ النخل وهي امرأة حامل، وسقوط الرطب عليها من غير مضرّة، والنهر الصغير الذي تشرب منه، ثم أمرها ألا تجادل بني إسرائيل بمولودها وأن تصوم عن الكلام وتشير إلى مولودها. كلام سيدنا عيسى في المهد أجرى الله المعجزة العظيمة على لسان نبيه عيسى –عليه السلام–، حيث جعله يتكلم وهو ابن أيام قليلة، حيث برَّأ أمه من أيّ تهمةٍ يمكن لأحدٍ أن يفتريها عليها، ودعاهم إلى توحيد الله والصلاة والزكاة، ومع ذلك فقد اختلف بنو إسرائيل وكفر كثيرٌ منهم بالله بعد تلك المعجزة العظيمة.

– نفي الولد عن الله من ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: 35] إلى غاية ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [مريم: 40] نفى الله مانُسب إليه من ولد وهو من خلقه وتوعد الكافرين بما سينالهم يوم القيامة من عقاب وبأن الله هو مالك الملك ومَرْجوعنا إليه لا محالة.

– **قصة نبي الله إبراهيم** عليه السلام من ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: 41] إلى غاية ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا٥٠﴾ [مريم: 50] جاء في السورة ذكر قصة سيدنا إبراهيم مع والده آزر، حيث دعاه إلى توحيد الله وحذّره من غضب الله وعذابه، وحذّره من كيد الشيطان، وقد أصرّ والده على الكفر، وأمره بمفارقته

ففارقه، ولما فارق إبراهيم أباه أصابه الحزن، فأكرمه الله بابنه إسحاق وابن ابنه يعقوب عليهما السلام.

-**بيان بعض الجوانب من حياة بعض الأنبياء**من ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: 51] إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩﴾ [مريم: 58] وذلك مثل موسى وهارون وإسماعيل وإدريس ونوح عليهم الصلاة والسلام، وبيان بعض أوصافهم؛ كصدق الوعد والصلاة والزكاة والخشوع لله تعالى والسجود له عند ذكره.

- **التحذير من تضييع الصلاة** من ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم: 59] إلى غاية ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا﴾ [مريم: 76] جاء في السورة التحذير من تضييع الصلاة واتّباع الشهوات، وذُكر فيها عظيم وعيد الله لمن ضيّعها، ومدح الله التائبين وبيّن عظيم إكرامه لهم يوم القيامة. الرد على منكري البعث ومنهم أُبَيّ بن خلف الجمحي، وقيل الوائل بن العاص، حيث أنكروا البعث يوم القيامة، فردّ الله عليهم وأقسم ببعثهم؛ فالذي أنشأهم من العدم قادرٌ على بعثهم، ثم هدّدهم الله بوعيده يوم القيامة، وأخبرهم الله أنّه أهلك من هو أشد منهم قوة، وبيّن الله مصير المؤمنين الطيّب يوم القيامة.

-**تحدي الله ﷻ للعاص بن وائل** من ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا﴾ [مريم: 77] إلى ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: 87] تحدّى الله – عز وجل– العاص بن وائل ومَن على شاكلته من المشركين الذين زعموا أن الرزق من مال وولد من نصيبهم، فرد الله عليهم بأنه سيبعثهم ومعهم مقالتهم هذه ليحاسبوا عليها وينظر ماذا سيفعلون أمام أهوال يوم القيامة.

- **نفي الولد عن الله تعالى** من ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ [مريم: 88] إلى ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: 95] وبيان عظيم هذا الافتراء الذي تكاد السماوات والأرض تتشقق

بسببه وتنهدم الجبال العاليات منه، ثم بيان الوعيد الشديد على من افترى هذه الفرية العظيمة على الله تعالى، حيث سيعود كل واحد منهم بمفرده يوم القيامة للحساب والجزاء.

–**بيان كرم الله على المؤمنين** من ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: 96] إلى ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزٗا﴾ [مريم: 98] **حيث** سيجعل لهم مودة في قلوب الناس، إكراماً لهم بسبب إيمانهم، وبيّن مكانة القرآن العظيمة وتيسيره على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم–، وذكّر بأن إهلاك الأمم السابقة خير شاهدٍ على صدق موعود الله في جميع السّورة.

- **<u>رصد أفعال الكلام في خطاب السورة</u>**

كنا رأينا سابقا، أن **سيرل** قد جعل الأفعال الكلامية خمسة أصناف: الأفعال التوجيهية (الطلبيات)، والإخباريات والوعديات والإفصاحات (التعبيريات)، والتصريحيات وسندرس نموذجا أو اثنين لكل صنف منها.

1– الأفعال التوجيهية: عرفنا سابقا أنها تتمثل في الطلبيات، وتهدف إلى جعل المخاطب يقوم بأمر ما. وتندرج تحتها مجموعات كبيرة من الأفعال الكلامية التي تتحدد قوتها الإنجازية والحجاجية حسب السياق التداولي الذي جرت فيه، ونأخذ أمثلة. من هذه الأفعال في سورة مريم تتمثل في النداء والاستفهام والأمر.

<u>الاستفهام</u>: من الآيات التي احتوت فعلا كلاميا استفهاميا، قوله تعالى على لسان زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ [مريم: 8]. ففي قوله: ﴿**أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ**﴾ فعل إنجازي طلبي، وواضح من السياق أن قوته الإنجازية تتمثل في التعجب. أما الفعل التأثيري فيه، فهو شكر الله على نعمته، "والتعجب" مُكَنّى به عن الشكر، فهو اعتراف بأنها عطية عزيزة غير مألوفة، لأنه لا يجوز أن يسأل الله أن يهب

له ولدا، ثم يتعجب من استجابة الله له، ويجوز أن يكون قد ظن الله يهب له ولدا من امرأة أخرى بأن يأذنه بتزوج امرأة غير عاقر ".[1]

وسبب تعجب زكريا، هو التقاء سببين لعدم الإنجاب؛ " أي كانت على صفة العقر حين أنا شاب وكهل، فما رزقتُ الولد لاختلال أحد السببين، أفحين اختل السببان جميعاً أُرْزَقُهْ؟"

ويرى الزمخشري أنّ لهذا الفعل الكلامي فعلا تأثيريا غير الشكر، وهو زيادة يقين المؤمنين بربهم، يقول: "فإنْ قلتَ: لِمَ طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العُتِيّ والعقر فلما أُسْعِفَ بطلبه استبعد واستعجب؟ قلتُ: ليُجاب بما أُجيبَ به فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون، وإلا فمعتقد زكريا أولاً وآخراً كان على منهاج واحد، في أن الله غَنِيٌّ عن الأسباب". [2]

– وفي قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: 29] يتمثل الفعل الكلامي في الاستفهام الذي تظهر قوته الإنجازية بوضوح من السياق، والمتمثلة في الإنكار، " والاستفهام: إنكار؛ أنكروا أن يكلموا من ليس من شأنه أن يتكلم وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته، أي كيف نَتَرَقَّبُ منه الجواب، أو كيف نُلقي عليه السؤال، لأن الحالتين تقتضيان التكلم.[3]

ويظهر هنا أن الفعل التأثيري لهذا الاستفهام هو دفع مريم عليها السلام للتكلم وتبرير الموقف الذي يرون أمامهم.

النداء: قال تعالى:﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [مريم: 27] تمثل الفعل الإنجازي الطلبي في الآية السابعة والعشرين ﴿**يَامَرْيَمُ**﴾ في النداء الذي أصله للتنبيه،

[1]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ص70.

[2]محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1407هـ، ص6.

[3]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ص 97.

أما قوته الإنجازية فهي التوبيخ،" وقال قومها هذه المقالة توبيخا لها".[1]وتوبيخُهم وذَمُّهُمْ لها واضح أيضا من خلال وصفهم للشيء الذي جاءت به بالفري، وهو لفظ يحتمل عدة معان، أقربها أنه الشيء العظيم المنكر، لدلالة السياق اللغوي في الآية عليه كما يوضح ذلك **الرازي** "قالوا لها: لقد جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا"، فَيُحْتَمَلُ أَن يكون الْمُرادُ شَيْئًا عَجيبا خارجا عن العادة مِن غَير تَعْيِيرٍ ،وَذَمّ، وَيُحْتَمَلُ أَن يكون مُرَادُهم شَيْئًا عَظِيمًا مُنْكَرًا فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنهم على وجه الذَّمّ، وَهَذَا أَظْهَرُ لِقَوْلِهِم بعده:﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: 28]، لأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ ظَاهِرُهُ " التَّوْبِيخ".[2]

كما نجد الفعل الطلبي ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ المتمثل في النداء في الآية التي بعدها مباشرة، وهذا الفعل الكلامي يتضمن قوة إنجازية، قد تكون زيادة في التوبيخ لتكرار النداء، مضيفين إياها إلى أخيها هارون – قيل إنه من صلحاء بني إسرائيل فعُيِّرَتْ به وواصفين أبويها بالصلاح، "وَحِينَئِذ يصير التوبيخُ أَشدَّ، لأن مَن كان حالُ أَبَوَيْهِ وأخيه هذه الحالة يَكُونُ صُدُورُ الذَّنْب عنه أَفْحَشْ" [3]

<u>الأمر</u>: قال تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم: 16] في الآية الكريمة فعل كلامي إنجازي، يتمثل في فعل الأمر "اذكر"، وهو "كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلّم، وأُمِرَ عليه الصلاة والسلام بذكر قصة مريم إثر قصة زكريا عليه السلام لما بينهما من كمال الاشتباك والمناسبة ".[4]

---

[1] نفسه، 95.

[2]فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط3، 1420هـ، 529-530.

[3] نفسه، ص530.

[4]شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1415 هـ، ص 393

كما ورد الفعل الكلامي " اذْكُرْ" في سورة مريم مرتبطا بلفظ "الكتاب" أي القرآن، وهذا له قوة إنجازية هي "التنبيه" إلى أن ذَكر من أُمر بذكرهم كائن بآيات القرآن، وليس مجرد ذكر فضله في كلام آخر من قول النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

وهناك من يرى أن المراد بالكتاب السورةُ الكريمة لا القرآن كما عليه الكثير، إذ هي التي صُدِّرَتْ بقصة زكريا عليه السلام المستتبعة لقصتها وقصص الأنبياء عليهم السلام المذكورين فيها، أي واذكر للناس فيها مريم، أي نَبَأَهَا.[2]

أما الفعل التأثيري الناتج عن هذا الفعل الكلامي الذي افتُتِحتْ به القصة فهو "زيادة اهتمام بها، وتشويق للسامع أن يتعرفها ويتدبرها".[3]

2- **الإخباريات:** وقد مرّ معنا أنها الأفعال التي يكون فيها القول مطابقا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي مع شرط الإخلاص، فإذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقق شرط الإخلاص.

ومن هذه الأفعال في السورة، نجد قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ2 إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا3﴾ [مريم: 2-3] افتُتِحَت الآية بقوله "ذِكْرُ"، ويحتمل هذا اللفظ أوجها إعرابية، منها أن (ذكر)؛ خبر مبتدأ محذوف والتقدير: "هذا ذكرُ رحمة ربك"، والقوة الإنجازية المتضمنة في هذا الفعل الإخباري؛ هي الإخبار برحمة الله لعباده الذين يتوجهون إليه، وقد جاء نظم هذا الكلام على طريقة بديعة من الإيجاز والعدول عن الأسلوب المتعارف في الإخبار، وأصل الكلام ذكر عبدنا زكريا إذ نادى ربه فقال رب الخ .... فرحمه ربك، فكان في تقديم الخبر بأن الله رحمه اهتمامٌ بهذه المَنْقَبَةِ له، والإنباء بأن الله: "يرحم من التجأ إليه."[4]

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ص 80.

[2] شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ص 393.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ص 80.

[4] نفسه، ص 61.

كما نجد فعلا إخباريا في قوله تعالى:﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: 18]، وقد حَسِبَتْ مريم أن المَلَكَ الذي تمثل لها في هيئة بشر اختبأً لها ليراودها عن نفسها، فبادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها، من خلال الفعل الإخباري ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ [مريم: 18]، مؤكدة ذلك بحرف التأكيد إنّ، والمعنى المباشر لهذا الفعل هو أنها أخبرته بأنها جعلت الله معاذا لها منه، أي جعلت جانب الله ملجأً لها مما همَّ بـها" [1]أما القوة الإنجازية لهذا الإخبار فهي الموعظة له، "وَكَنَّتْ عن ذلك بالاستعاذة بالله تعالى حثاً له على المِكافَّة بألطف وجه وأبلغه وإنّ من تعرّض للمستعيذ به فقد تعرَّض لعظيم سخطِه"، واستعمالها لصيغة الشرط في قولها ﴿**إن كُنتَ تَقِيّٗا**﴾ فيه زيادةُ تذكيرٍ له والوعظ بأن يتقي ربه فتكون في أمان منه، والحاصل أن التقوى لم تُجْعَلْ شرطَ الاستعاذة بل شرطَ مكافّته وأمنها منه.[2]

3- **الالتزاميات أو الوعديات:** رأينا أنها أفعال تهدف إلى جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل، كأفعال الوعد والوعيد، وكذا البشارة ونحوها..... ومن هذه الأفعال في السورة ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا60 جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا61 لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا62 تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا63﴾ [مريم: 60-63] في هذه الآيات الكريمات تظهر جليا الأفعال الكلامية الدالة على الوعد والبشارة. فقد جاء الفعل الكلامي المتمثل في الوعد ﴿**الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ**﴾ وصفا لجنات الخلد، وذلك "لزيادة تشريفها وتحسينها" وفي ذلك قوة إنجازية هي "إدماج لتبشير المؤمنين السابقين، في أثناء وعد المدعوين إلى الإيمان.[3]

[1]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 80.

[2]شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ص 396.

[3]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 137-138.

كما ارتبط فعل الوعد هنا بالغيب أي وُعدوا الجنة في زمن غائب عنهم، "وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة، أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها، أو بتصديق الغيب والإيمان به [1] وهنا تظهر قوة إنجازية أخرى لفعل الوعد، وهي تنبيه على أنها وإن كانت محجوبة عنهم في الدنيا، فإنها مهيئة لهم" [2].

وفي فعل الوعد المتضمَّن في قوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾ يظهر تأكيد وقوع وعد الله للمؤمنين بدخول الجنة ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾ والوجه أنّ الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك : أتى إليه إحسانا، أي : كان وعده مفعولا منجزا". [3]وفي هذا التوكيد لوعد الرحمان تتحقق القوة الإنجازية لفعل الوعد، ويتحقق التأثير كذلك، وهي البشارة التي تلقوها من ربهم، والتي حتما ستدفع المزيد من العمل الصالح.

4- الإفصاحيات أو التعبيريات: وهي أفعال يكون الهدف منها التعبير عن الحالة النفسية، كالأفعال الكلامية التي تعبر عن حالات الرضا والغضب والفرح والحزن، وغيرها، ولا يشترط فيها أن تقتصر على ما هو خاص بالمتكلم. من الأحداث، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثارها النفسية والشعورية على المتكلم.

وقد ورد في سورة مريم عدد من الآيات التي تعبر عن الحالات النفسية المختلفة مثل قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: 23]. إن الحالة التي كانت عليها مريم صعبة فعلا، جعلتها تعيش حالة من الحزن الشديد، فعبرت بالفعل الكلامي المتمثل في تمني الموت، والذي حمل قوة إنجازية تمثلت في التعبير عن حزنها مما هي فيه، وكيف ستلقى قومها، "فهيفي حالة من الحزن، ترى أن الموت أهون عليها من الوقوع فيها.[4]

---

[1]محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 27.

[2]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 138.

[3]محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 27.

[4]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 139.

كما أن حالة مريم النفسية لا تنعكس عليها وحدها، بل سيشاركها هذه المشاعر أهلها وقومها، فأرادت أن تبعد عنهم تلك المشاعر السيئة، لذلك عبرت في تمنيها الموت بقولها ﴿**مِتُّ قَبْلَ هَذَا**﴾ وقصدت بذلك الحمل و أرادت أن لا يتطرق عرضها بطعن ولا تَجُرَّ على أهلها معرّة، ولم تتمن أن تكون ماتت بعد بدوّ الحمل، لأن الموت حينئذ لا يدفع الطعن في عرضها بعد موتها، ولا المعرّة على أهلها، إذ يشاهد أهلها بطنها بحملها وهي ميتة " فتطرقها القالة"[1]وتظهر جليا حالة الحزن على مريم في قولها ﴿**وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾ إذ تَمَنَّتْ لَوْ كَانَتْ شَيْئًا تَافِها لَا يَؤْبَهُ بِهِ وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُنْسَى فِي الْعَادَةِ ، وحُقَّ لمريم لقب الصديقة الذي سماها ربها به نظير عفتها وما عاشته من ألم وحزن جعلها تتمنى الموت، وتتمنى لو أنها كانت شيئا لا يُلتفت إليه. و" لَعَلَّها قَالَتْ ذَلِكَ لِكَيْ لَا تَقَعَ الْمَعْصِيَةُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَإِلَّا فَهِيَ رَاضِيَةٌ بِمَا بُشْرَتْ به ".[2]

5- التصريحيات: وهي أفعال كلامية تهدف إلى إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرد التلفظ بها، ومن أمثلتها: صيغ العقود كالبيع والزواج والطلاق والوصية والصفح والعفو إعلان، افتتاح الجلسات.... ومن أمثلة هذه الأفعال في سورة مريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّآ ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 21] يبدو من خلال الآية الكريمة، أن هناك أفعالا تهدف إلى إحداث واقعة وإلى إحداث التغيير، تظهر الفعل التصريحي ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ﴾ وفيه قوة إنجازية هي أن الله أراد ذلك، وهو أمر هين عليه. كما يحمل الفعل التصريحي ﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّآ ۚ﴾ قوة إنجازية، هي أن هذا الأمر سيكون آية ورحمة، "والمراد بالآية: العبرة وللبرهان على قدرة الله تعالى وبالرحمة: الشرائع والألطاف، وما كان سبباً في قوة الاعتقاد، والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح، فهو جدير بالتكوين"[3] وهي فوائد ناتجة عن إرادة الله في خلق عيسى عليه السلام .

---

[1]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 138

[2]فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ص526.

[3]محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 634.

وأما الفعل التصريحي ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ فقد حمل قوة إنجازية تمثلت في الإعلان عن حدوث إرادة الله. قَوْله: وَكانَ أَمْراً مَقْضِيًّا المُرادُ مِنْه أَنَّهُ مَعْلُومٌ لِعِلْمِ اللهِ تَعالى فيمتنع وُقُوع خِلَافِه " [1] ووقع أمر الله وخلق عيسى عليه السلام، فكان آية ورحمة كما قضى سبحانه.

- **تحليل نماذج للأفعال الكلامية من" سورة مريم" مقاربة حجاجية :**

- حجاج إبراهيم لأبيه:

قالى تعالى:﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا43 يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا44 يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا45 قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا46 قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا47 وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا48﴾ [مريم: 43-48] وقد تضمن الحوار جملة من الأفعال الكلامية المدح الإخبار، النداء، الاستفهام، الأمر، النهي، القسم، التوكيد، والشرط. التحذير.

1- المدح: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41] هذا هو الفعل النطقي: أخبر الله عن صفات إبراهيم عليه السلام الذي وصفه بالصدّيق لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى[2] " وهو من أبنية المبالغة أي كثير الصدق والصدق عرفه في اللسان ويقابله الكذب وقد يستعمل في الأفعال ،والخلق فوصف إبراهيم بالصدق على العموم في أقواله وأفعاله وكان بليغا في الصدق، لأنّ ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك و(صديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصِّدّيقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات[3] فمنطوق الفعل وصف لصديقية إبراهيم الذي سيكون هو صاحبا لدعوى المحاجج.

---

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ص524.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط3، 1423هـ، ص 2313.

[3] محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 6، ط1، 1993، 182.

فالمتحدث عنه هو النبي إبراهيم، صدّر الحوار بالحديث عنه وتزكيته لئلا يكون مظنة للشك، وحتى يطمئن المتلقي، إذ من شروط الحجة المثبتة أن يكون المتكلم صادقا في دعواه، ويشكل الفعل القضوي دعوى الحجاج التي ينشئها المتكلم طلبا لاستمالة المتلقي والتأثير فيه، فكانت قضية الصدق دعوى هذه العملية الفعلية. ثم علل تشريفه بذكره له على سبيل التأكيد المعنوي بالاعتراض بين البدل والمبدل منه واللفظي بـ (إن) بقوله منبها على أن مخالفتهم له بالشرك والاستقسام بالأزلام ونحو ذلك تكذيب بأوصافه الحسنة والصديق لا يكون كذلك إلا وهو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص[1] فعل الإنجاز؛ ويؤكد الخبر في هذه الآية (إنّ) ، لزيادة حجم الاقتناع، وتظهر حجاجية الفعل هنا بناء على ردود المتلقي وأفعاله الممكنة والمحتملة، قبولا أو رفضا أو حجاجا عكسيا، فهو يحمل دعوى توجيهية للمتلقي ونتيجتها تحصيل الاقتناع وقد كان للمتلقي ردود فعل يكشف عنها تتمة الحوار.

والأثر الناتج عن هذا الفعل غير مباشر، فالأثر الذي يروم المتكلم من المتلقي انجازه هو قبول نبوة ابراهيم الصديق اعتقادا، وبعد ذلك التسليم لمضمونها فعلا. وللمدح طاقة حجاجية فاعلة لما له من قوة على الترغيب في الإقدام أو التحلي بالشيء الممدوح، إذ أن ذلك يولد شعورا بالارتياح والاطمئنان لدى المتلقي، فيكون مدعاة لاستمالته، ومن ثمة يصل إلى غايته وهي الإقناع والاقتناع بما يعرض عليه.

2- النهي في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: 42]، ويتضمن فعل القول هذا مدخل الحوار بين الابن ووالده بعدما استفتحه بالنداء (يا أبت)، متضمنة حجة محسوسة تبدأ محاججة إبراهيم أباه بإلقاء الحجة في صورة استفهام، وفيه لفت للنظر العميق يبعث على الشك والبحث، ومن هنا أشار العلماء وأجمعوا

[1] برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، ج12، ص 206.

على أن النهي يقتضي الفور[1]أي السرعة في التنفيذ. وقوله (يا أبت تلطف واستدعاء بالنسب واستفهم إبراهيم عليه السلام عن السبب الحامل لأبيه على عبادة الصنم، وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه (شيئا) تنبيها على شنعة الرأي وقبحه، وفساده في عبادة من لا يسمع ولا يبصر.

أما استجابة المتلقي فلم يفصح عنها بسلوك مباشر، كون الخطاب لا زال قائما من المتكلم، غير أن سياق الكلام يكشف لنا عن عدم استجابة آزر لدعوة إبراهيم ومعاندته ومكابرته، والدليل على ذلك استمراره في سرد الحجج، واستمرار آزر في اتخاذ هيئةالمستمع الذي يطلب مزيدا من الحجج، لعلها تحصل لديه الاقتناع بدعوى الابن.

3- الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا٤٣﴾ [مريم: 43]، والفعل هنا (فاتبعني)، وتسلسل إبراهيم بالحجج وذلك لدفع ما يمكن أن يخالج عقل أبيه وينفره عن تلقي الرشاد حيث فرع أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم، وتأمل كيف كان المتكلم مراعيا لحال المتلقي، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال إن معي طائفة من العلم ليست معك على سبيل التبعيض، وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه وهي حجة مدعمة لدعوته فإذا كان قد اعتمد في الحجّة الأولى على المخاطب باعتبار أنه بيده انجاح العملية الحجاجية بقيامه بفعل الرؤية والاستنتاج، فإنه في الحجة الثانية اعتمد على المخاطب ومنزلته العلمية المستمدة من الوحي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية التي تسهم في رفع ذات المرسل إلى أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله، عندها يتبوأ المرسل بخطابه مكانا عليا وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة

[1]فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني) دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1989، ص 154.

الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه[1] فاتبعني أي فتسبب عن ذلك أني أقول لك وجوبا على النهي عن المنكر ونصيحة لما لك علي من الحق.[2]

إنّ التقرير الذي يحمله خبر: "إنّي قد جاءني من العلم مالم ياتك" يدخل في إطار ما يسمى بقانون الإخبارية الذي عرفه ديكرو أنه "الشرط الذي يخضع له الكلام والذي هدفه إخبار السامع ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه"[3]لذلك فإننا نقف هنا على خبر النبوة وهو يصل إلى الأب ولم يكن من قبل يعلم أنّ ابنه اصطفاه الله نبيا فلعب الإخبار بذلك دورا حجاجيا.

فعل الإنجاز بعد تأكيد إبراهيم كفاءته الخطابية المرتبطة بالكفاءة الشاملة (النبوة) المستمدة من الوحي، والتي سمحت له بممارسة السلطة الخطابية يقول له: "فاتبعني"، وهذا ما يفرضه قانون الإخبارية دائما، كونه يلزم المخاطب أن يعطي أكبر عدد ممكن من المعلومات التي تفيد المخاطب (الأب)، لكي يكون كلامه مفيدا شاملا لذلك أتبع "فاتبعني" بما سوف ينتج عنه وهو الهداية إلى الصراط السوي، ليصبح الأمر بعد ذلك دعوة واستمالة واستدراجا، قد تدفع الأب إلى التساؤل عن طبيعة هذا الطريق السوي فيستجيب، لذلكشحن الخطاب بالمشاعر العاطفية، وفي هذا يقول أرسطو إنّ عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجّة فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقوله بما ينبغي لذلك فالمتكلم كان حكيما في انتقاء الألفاظ التي لها وقع عميق على المتكلم، ولا تشعره بالمهانة والاحتقار، فتأمل كيف أن كلمة "يا أبت " في منتهى اللطافة وتوحي بحب الابن لوالده وحرصه على

[1]عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 537.

[2]برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 205.

[3]عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في منظور نظر التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص 105.

نجاته من غير تعنيف وهي كلها دعائم حجاجية لاستمالة المتلقي ولتسريع الاستجابة، وهذا غاية الانجاز.

تلخص عبارة "اهدنا صراطا سويا" أقصى ما يمكن أن تحتويه كلمة كالهداية والصراط السوي من معان تجنّب إبراهيم إعطاءها في هذه العبارة على حد الإفادة، وهذا شأن قانون الشمول الذي يعطي للمخاطب قدرة على استنتاج معان مختلفة ودلالات قد لا يظهرها صريح الخطاب، لذلك نجد قانون الإخبارية وقانون الشمول يخضعان كلية القانون الإفادة، وهي تسير وفق النسق التالي، "يجب إعطاء الخبر بأقصى ما يحتويه من معلومات ولكن في حدود الإفادة مع تجنّب إعطاء كل شيء لأنه قد يؤدي إلى إحداث أضرار لا حاجة للمتخاطبين بها[1] إذ أنّ الفعل الانجازي الموجه إلى الاتباع المختوم في نهاية الآية بالهداية، والموسوم بالسوي حقق تناظرا مع الأمر بالاتباع وكشف عن الخيبة والخسران في حال العصيان، فلا يقابل السوي إلا المعوج، وضد الهداية الضلال، وهل هناك حجّة أبلغ من هذه تحمل المتابعة والخضوع للأمر.

4- الخوف يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: 45]، إن مضمون فعل القول هنا هو الخوف أو وقوع العذاب على والده، حيث ألقى إليه حجة لائقة بالمتصلين بالضلال والتعبير بالخوف في قول إبراهيم " إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان؛ يدل على الظنّ دون القطع بأن لا يثبت أمرا فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان[1]ولقد كان مقصد المتكلم الذي هو إبراهيم بفعل القول (أخاف) التخويف، فهو لأنه لم يكن أيسا من إيمانه بل كان راجيا له وخائفا أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوّفه إبراهيم سوء العاقبة، وتأدب معه، إذ لم يصرح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ المس وهو ألطف. من المعاقبة، ونكر العذاب، ورتب على

[1]عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في منظور نظر التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص107.

ممن العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان، وصدر كل نصيحة بقوله (يا أبت) توسلا إليه واستعطافا [2] فلما بيّن له بذلك أنه عاص خوفه من إزالته لنعمته وقد أدرجت كرابط الفعل (خاف) ضمن الأفعال الذاتيةولسان حاله يقول: يا أبت انته عما أنت عليه من الشرك وعبادة الأصنام، ولذ بالواحد الأحد تسلم.

فعل الإنجاز وفعل "خاف" من أفعال العواطف أو الأحاسيس التي تعبر عن تقويم عاطفي وأخلاقي، إيجابي أو سلبي يعبّر الفعل "خاف" هنا عن تقويم عاطفي وأخلاقي سلبي للعذاب بوصفه موضوعا غير مستحسن ويتلبس هذا التقويم ببعد حجاجي إقناعي، ذلك أن سيدنا إبراهيم يروم من وراء هذا التقويم إقناع القوم وآزر بوجوب العذاب، وتجنب كل الأسباب المؤدية إليه وبخاصة الشرك "[3] فاستشعار الطاقة الموجهة من الفعل (خاف) تمثل قوة ردع في إحجام المتلقي عن الحال التي هو عليها ، ولا يتم ذلك إلا إذا كان المتلقي على استعداد لقبول الحجة وكلمة الرحمن هي من صفات الله تعالى واختار وصف "الرحمن" "تنبها على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يتبع"[4]

فعل الإنجاز الاستفهام هنا، للإنكار إنكارا لتجافي إبراهيم عن عبادة الأوثان ردّ آزر سلطويا ينطلق من موقع الشعور بسلطة الأب التي تضغط على الابن، فلا يعبر أبدا عن علاقة إنسان بنبي وإنما أب بابنه إذ قال "لئن لم تنته..." مهددا إياه بالرجم والهجران، وما يؤكد تلك الحقيقة اتيانه بالقسم تأكيدا لكونه راجمه إن لم ينته عن كفره بآلهتهم.[5]

فيكون الفعل المتوقع من الوالد لولده هو الرجم إن لم يبعد عن ساحته. ولما كان في قوله (لأرجمنك) فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلام، والأمن ووعده بالاستغفار

---

[1]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 118.

[2]محمد بن يوسف، البحر المحيط، ص 183.

[3]عائشة هديم، إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم خطاب بعض الأنبياء نموذجا – ص 82-83.

[4]محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 116

[5] نفسه، ص 117.

قضاء لحق الأبوة، وإن كان قد صدر منه، إغلاظ ولما أمره بهجره الزمن الطويل أخبره بأنه يتمثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم.[1]

إن رفض آزر مبدأ التقارب وتغاضيه عن العلاقة العائلية التي تربطه بسيدنا إبراهيم عليه السلام أدت في النهاية بالعلاقة إلى التباعد وما مخاطبته باسمه إلا تكريس لذلك التباعد. فكان من آثار هذا الغضب التعصب للباطل وعمى بصيرة ،الحق، هو التوعد بالرجم من الوالد للولد إن بقي متمسكا بدعوته وفي وسطه، أو الهجر وقطع أي حبل للمعاشرة تحقيرا من شأن إبراهيم وما جاء به، ووصف الهجر ب (مليا) وهو الزمن الطويل يكشف عن ذلك الجفاء العاطفي من الأب تجاه والده، وإن هذا الفعل الإنجازي أكد على الحال التي كان يعانيها الأنبياء أقوامهم والأقربين، فالرجم والهجر والمقاطعة والنفي وما إلى ذلك تكشف عن وثنية عقول المخاطبين وإن الحجاج معهم اتخذ ضربا من المعقولية الممزوجة بالتلطف والأسلوب الحسن، طلبا لاستمالتهم، غير أن الغضب للباطل كان سيد الموقف.

مع أن هذه المخاطبة تطرح تعارضا بين سيدنا إبراهيم وأبيه أزر من خلال اختلاف مقصد كل منهما كما أنّ التعارض الحجاجي بين المتخاطبين طرح تعارضا في اللغة حين سجل إبراهيم تعاليا ورقيا في معجمه بقوله: "سلام عليك سأستغفر لك ربي" ردا على معجم أبيه الذي توعده بالرجم حين قال: "لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا"، وتحقق بذلك لفظة "اهجرني" ولفظة "اعتزلكم" التباعد الذي لا رجوع فيها.[2]

فكانت حجّة إبراهيم هي حجّة الله، ولأجل ذلك قال الله: "وتلك حجتنا أتيناها إبراهيم". قد عكست هذه المحاججة واقع عقلية الجاحدين الذين يجادلون بغير حق وكأنها محاكمة تنتصر فيها قوة الفعل وليس قوة القول (الحجة)[3]

---

[1]محمد بن يوسف، البحر المحيط، ص 185.

[2]سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجيستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 53.

[3]نفسه، ص 72.

- قصة مريم

- الأفعال الخبرية: وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّآ ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 21] لقد شكلت الأفعال الخبرية هنا بناءً حجاجياً محكماً يثبت الهدف العام للكثير من قصص القرآن، ومنها قصة مريم ففيها عبرة وتذكرة لأولي الألباب، فيمكن أن نقول أن أفعال الكلام الإخبارية هنا قد وجهت مسار الحجاج إلى الإقناع بما تتضمنه قصة مريم من دلائل وإثباتات.

- ولادة عيسى الله من أم لم يمسسها رجل آية من آيات الله تعالى.

- إن خلق عيسى الله من مريم أمر قد قضاه الله ولا تراجع فيه.

- إن أمر خلق عيسى من أم دون أب أمر في غاية السهولة على الله تعالى وحده.

- إن في خلق عيسى الرحمة من الله تعالى على عباده الذين صدقوا برسالته.

فكل هذه الحجج تُثبت أن الله لو أراد شيئاً هيأ أسبابه ويسرها، فهو الذي خلق الإنسان من عدم، فهو قادر على أن يخلق غلام من أم لم يمسسها رجل، ويجعل منه رحمة وحجة على عباده.

- الأمر والنهي: ويُمكن عدهما من الأفعال الانجازية التي تهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين، قال تعالى:﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا24 وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا25 فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا26﴾ [مريم: 24-26] لقد اختلف المفسرون حول جملة من الأمور في هذه الآيات إن المنادي في هذه الآيات هو جبريل وقيل هو عيسى ، وقيل أن الشيء الذي جعله الله عز وجل تحت مريم هنا يراد به جدولاً أو نهراً وقيل بل عيسى، فنلحظ أن القيمة الحجاجية لأسلوب النهي تكمن في قوله تعالى ألا تَحْزَنِي ففيه توجيه لمريم عليها السلام بنصحها وإقناعها بأن لا تحزن بولادتها هذه، لأن الله تعالى خلق عيسى عليه السلام وهو يعرف ما سيكون عليه من شأن، إذ سيُبارك فيه

(الرب) ويجعله نبياً، والنتيجة المرادة من ذلك هو إقناعها بعدم الحزن وعدم اليأس من أمر الله ففيه خير وبشرى لها وللناس جميعاً، فنلحظ هنا أن المسار الحجاجي للفعل الكلامي النهي جاء عكسياً حيث النتيجة يمثلها هذا الفعل والحجة ضمنية.

الحجة؛ خلق الله عيسى ليكون رحمة للعالمين وسيكون عظيم الخصال ومن عليك يا مريم ألا تحزني بهذه الولادة.

أما الفعل اللغوي المتمثل بالأمر في قوله (هزي، كلي، اشربي، قري) فتتعاضد هنا أفعال الكلام جميعا لتنتج طاقة حجاجية لتسير في مسار واحد لتدل على إرادة واحدة وهي أن تصبح مريم قوية، فلا تعاني من جوع ولا عطش وأن تفرح بعيسى فهو نبي الله الذي سيبارك فيه، ويكون حجة الله على عباده، وآية من آياته عز وجل لتثبت قدرة الله على كل شيء فهو أهل للطاعة وأهل للعبادة.

– **قوله تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩﴾ [مريم: 58] الأفعال الإخبارية: فالمتمعن لمعاني هذه الآيات يجد أنها تضمنت أفعالاً خبرية فيها بناء حجاجي محكم، فالله تعالى يثبت من خلالها أن هذه الصفوة المختارة من الأنبياء إنما هم من أنعم الله عليهم ووفقهم واصطفاهم، وقد جاء هذا الإخبار بشكل أساليب خبرية متتالية تتعاضد لتشكل حججا تفضي إلى هدف واحد هو إثبات أن هؤلاء هم أنبياء الله حقاً، وأنهم مرسلون من الله تعالى وقد أنعم الله عليهم وعلى ذريتهم، تؤكد هذه الأخبار أن هؤلاء الأنبياء إذا ما سمعوا آيات الله وحججه خروا لها تذللاً وخضوعاً باكين من خشية الله تعالى، فالملاحظ على معاني هذه الأخبار أنها جاءت لتحقيق غايات يقتضيها الكلام.

إذ أسفرت عن آثار في نفسية المتلقي فكل هذه الآيات تثبت أن الله تعالى حق وأن ما أرسل من أنبياء هم حق وبنعمته وتوفيقه قد اصطفاهم وذرياتهم لوحيه ورسالته.

- حديث العاص بن وائل

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا77 أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا78﴾ [مريم: 77-78] يوجه الله تعالى سؤاله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفيه تعجب من أمر ذلك الشخص الذي يزعم أنه سيؤتى مالاً وأولاد يوم القيامة (العاص بن وائل السهمي) ، وهذا الاستفهام توبيخي للذي يقول ما لا يعلم، فعلم الغيب بيده تعالى وحده فكيف عرف ذلك ؟ هل أخذ موثقاً من الله أم اطلع على علم الغيب؟!

الاستفهام: فهذه الحجة وجهت العقول الوجهة التي يريدها قصص القرآن الكريم، فالاستفهام كما هو واضح يقوم بدور أساسي في الإقناع والحجاج فهو يعمل على جلب المتلقي إلى أفعال الاستدلال وكأنه يُشركه بالحكم ذاته بالمستوى الذي يرفد مقاصد الخطاب والغاية من ذلك كله أن يعلم الإنسان أن آيات الله كلها حق فعلى الناس أن يؤمنوا بها، كما أن علم الغيب بيده لا يعلمه إلا هو. وهنا يكون المسار الحجاجي للاستفهام هي أن الحجة بأن الإنسان لا يعلمالغيب ولا يأخذ موثقاً من الله إلا بمشيئته عز وجل، وفي النتيجة أن آيات الله حق كلها فعلى الناس أن يؤمنوا بها جميعاً.

- آخر آية من سورة مريم:قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98] فالاستفهام كما هو واضح في الآية السابقة استفهام بلاغي خرج لغرض يقتضيه حال المنكرين والمخاطبين وسياق الحديث فيقول الله عز وجل للنبي محمد كثيرة هي الأقوام التي هلكت إذ سلكوا من خلاف الله، فأين هي؟ هل ترى منهم من أحد أو تسمع لهم صوتاً؟ فخرج الاستفهام هنا لغرض النفي أي ما ترى أحد من هؤلاء ولا تسمع لهم صوتاً) وإذا تأملنا في هذا الأسلوب من الناحية الحجاجية فهو يحمل طاقة حجاجية بنبرة النصح فهذا الاستفهام يدعو الكل إلى أن ينظروا إلى مصارع الأمم التي سبقتهم فقد هلكوا، فعليهم أن يعتبروا قبل فوات الأوان، والحجة المقدمة أنك لا ترى هؤلاء

المهلكين من الأقوام السابقة ولا تسمع لهم صوتاً (هل ترى منهم...)، وكنتيجة ضمنية على المكذبين أن يهتدوا قبل قوات الأوان.

الخاتمة

يبدأ البحث العلمي بمجموعة من الأسئلة والاستفسارات التي تصحبها فرضيات وتوقعات، ومن طبيعة أي عمل بحثي أن تكون له ثمار في ختامه، وما بين البدء والختام يخوض الباحث فيها مغامرات كغواص في البحر تعتليه أمواج تعيقه تارة وتعينة تارة أخرى وأكثر المشاعر التي تعتريه كون المدونة هي القرآن الكريم، وقد كانت محاولات إلى التوصل إلى بعض النتائج منها:

1- نظرية الأفعال الكلامية هي من النظريات اللسانية الغربية، والتحليل الذي اتبعناه في البحث بناء على ما تم التنظير له بخاصة من قبل **أوستين** و**سيرل**، وإن تطبيق هذه النظرية على النصوص القرآنية، يساعدنا في استقراء معان خفية وتعمق في فهم كتاب الله.

2- أهمية الأفعال الكلامية كآلية حجاجية تحليلية، موظفة في استقراء المعنى انطلاقا من السياق التداولي الذي وردت فيه.

3- أن طبيعة الخطاب القرآني طبيعة حجاجية تأثيرية، وأن التلميح أبلغ من التصريح في تبليغ المقصود.

4- تعدد القوة الإنجازية للفعل الكلامي في الوقت نفسه في النص القرآني، فقد لا حظنا وجود أفعال إنجازية مستنبطة من البنى اللفظية ذاتها وأخرى أحال عليها السياق بقرائن وشواهد معنوية ولغوية.

5- كشفت لنا نظرية الأفعال الكلامية بأقسامها وشروطها ومستوياتها وبعدها الإنجازي والحجاجي عن وجه الإعجاز في البلاغة القرآنية التي لا يمكن معارضتها أو مقارعتها.

6- اتضح لنا جليًا أنّ لأفعال الكلام قوة فاعلية حجاجية كبيرة خصوصا فعل التأثير والحجاج، إذ أن غاية الحجاج هي الإقناع وكان ذلك فضاء مشتركا مع الفعل الإنجازي واللغوي.

7- إن استثمار نظرية الأفعال الكلامية في تحليل الخطاب القرآني ساعدنا على التعرف على بنية الفعل الكلامي في النص القرآني، والوقوف على مكوناته.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط3، 1994.

2- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ، ج 1 ، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، مادة "ح. ج. ج".

المراجع:

1- ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة _ لابن قتيبة، دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، إشراف الأستاذ السعيد بن براهيم جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010.

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج الدار البيضاء، العمدة في الطبع، ط1، 2006.

3- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

4- ينظر، الزاوي بغورة الفلسفة واللغة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

5- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد للتواصل)، ترجمة سيف الدين دغفوس مراجعة لطيف زيتوني، نشر المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 1998.

6- إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، إشراف الأستاذ الجودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013.

7- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب الإسلامي،

القاهرة.

8- بشرى البستاني. التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1،،2012.

9- بنعيسى عسو ازاييط، الخطاب اللساني العربي (هندسة التواصل الاضماري)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2012.

10- جمال حمود، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

11- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، د.ط، 1994.

12- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن، 2016.

13- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقي الشرق، المغرب، 1991.

14- حافظ اسماعيلي علوي . التداوليات . علم استعمال اللغة، 2011.

الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، ط 2010.

15- حسن بدوح، المحاورة: مقاربة تداولية. عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2012.

16- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم، فريق بحث الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان و تيتيكا في البلاغة والحجاج، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، تونس، كلية الآداب منوبة.

17- خولة طالب الابراهيمي، عن التداولية، مجلة اللغة والأدب، ع 16، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ديسمبر 2003.

مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.

18- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

19- سعيد فاهم معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011.

20- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر من الجاهلية إلى القرن الثالث هجري عالم الكتب، الأردن، ط1، 2008.

21- سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجيستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

22- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط3، 1423هـ.

23- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية،

دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1415 هـ.

24- طه عبدالرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1994.

25- عائشة هديم، إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم(خطاب بعض الأنبياء أنموذجا) رسالة ماجيستير.

26- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير إفريقيا الشرق المغرب، ط1، 2006.

27- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ط1، 2001.

28- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

29- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في منظور نظر التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.

30- فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000.

31- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط3، 1420هـ.

32- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007.

33- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني) دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1989.

34- كاترين كيربرات أوركيوني ، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان ، 2008.

35- كورني لافونراد الصكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، منشورات كلية الآداب منوبة، 2003.

36- ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، أطروحة دكتوراه، جامعة لخضر باتنة، د.ت.

37- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي، منشورات الضفاف، لبنان، ط1، 2015.

38- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزء السادس عشر، 1984.

39- محمد العبد النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع مجلة فصول)، ع60، صيف 2002.

40- محمد العمري، ضفي بلاغة الخطاب الإقناعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986.

41- محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993.

42- محمد عناني، المصطلحات العربية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي- عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ط3، 2003.

43- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.

44- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1407هـ.

45- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

46- نادية رمضان مختار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2013.

47- نادية النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس، الإسكندرية، ط1، 2013.

48- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف الجزائر، 2013، ط1،

المراجع باللغة الإنجليزية

1- Adam, Jean Michel, la pragmatique outils pour l'analyse létiraire, Ed Armand colin, France, 1998.

2- John Austin, How to do things with words, Oxford university press, Amen house, London, 1962.

3- Jhon Searle, Expression and meaning, Studies in the theory of speech acts, Cambridge university press, London, 1981.

فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات: ــــــــــــ

شكر وعرفان

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول
تمهيد ومفاهيم

المبحث الأول: التداولية..... **5**

تعريف التداولية..... **5**

مباحث التداولية..... **7**

1- نظرية الأفعال الكلامي..... **7**

أولا/ الفعل الكلامي عند أوستن..... **8**

تصنيف أوستين للأفعال الكلامية..... **11**

ثانيا/ الفعل الكلامي عند سيرل..... **12**

تصنيف سيرل للأفعال الكلامية..... **13**

2- الاستلزام الحواري..... **14**

أولا/ أنواع الاستلزام الحواري..... **15**

ثانيا/ خصائص الاستلزام الحواري..... **16**

ثالثا/ مبادئ الحوار..... **17**

رابعا / الدلالة الحرفية والدلالة الاستلزامية..... **18**

3- متضمنات القول..... **20**

أولا/ الافتراض المسبق..... **21**

ثانيا/ القول المضمر..... **22**

المبحث الثاني: الحجاج:..... **23**

مفهوم الحجاج.....23
طبيعة الخطاب الحجاجي.....24
1 الحجاج في الثقافة الغربية حديثا.....27
الحجاج عند "بيرلمان".....27
الحجاج عند "ديكرو".....28
2 الحجاج في الثقافة العربية حديثا.....29
الحجاج عند طه عبد الرحمن.....29
الحجاج عند محمد العمري.....29
بين التواصل والحجاج.....30
الفصل الثاني
حجاجية الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني" سورة مريم" أنموذجا
أولا/ اسم السورة.....33
ثانيا/ أسباب نزول السورة.....33
ثالثا/ أغراض السورة.....34
رصد أفعال الكلام في خطاب السورة.....38
تحليل نماذج للأفعال الكلامية من" سورة مريم" مقاربة حجاجية.....45
خاتمة.....57
المصادر والمراجع.....47
فهرس الموضوعات.....59
الملخص.....60

ملخص:

نحاول في هذا البحث الاستناد على معطيات الدرس الحجاجي بغية استنباط حجاجية الأفعال الكلامية في القرآن الكريم "سورة مريم " أنموذجا. والمبدأ الأساسي لنظرية أفعال الكلام أننا عندما نتكلم فنحن بصدد إنجاز أعمال في الواقع، والحجاج عمل هدفه أن يغير وضعا قائما.

وقد اعتمدت هذه الدراسة أساسا على المنهج التداولي مجسدة في مقدمة وفصلين، فصل أول نظري يتعلق بمصطلحات الدراسة التداولية، وفصل ثاني تطبيقي، وانتهى البحث بخاتمة شملت أبرز النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ الأفعال الكلامية؛ القرآن الكريم.

Abstract:

In this research, we try to rely on the data of the pilgrim lesson in order to derive the argumentative speech acts in the Holy Qur'an "Surat Maryam" as a model. The basic principle of the theory of speech acts is that when we speak, we are performing actions in reality. The objective of the argumentative speech is to inflict change on present situation.

This study relied mainly on the deliberative approach embodied in an introduction and two chapters, the first theoretical chapter related to the terminology of the pragmatic study, and the second chapter applied, and the research ended with a conclusion that included the most prominent results reached.

Keywords:speech acts,argumentative,Holy Qur'an.